موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٤١)

العفة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٥-٢٢٦-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٤١)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٥-٢٢٦-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٤١)

www.mtenback.com
موقع الكتور مرزوق بن تنباك

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
توطئة	٥
العفة لغةً	٧
العفة اصطلاحًا	٨
العفة في الإرث العربي	١٥
العفة في الأمثال والحكم المأثورة	٣٣
القناعة من العفة	٣٦
غض البصر من العفة	٤٨
العفة في العشق	٥٢
أثر العفة في التربية	٥٧
الفهارس	٦٣

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

توطئة:

العفة خلق عظيم الآثار، جم الفوائد. عليه يقوم تطهير المجتمع من الرذائل، والفواحش الصغيرة والجليلة، منها جريمة الزنى، تلك الجريمة التي تقوّض المجتمع وتهدم حصونه فتقضي على قيمه ومقوماته.

وعلى العفة تقوم الأمانة والوفاء بالعهود والوعود، فالإنسان بالعفة لا يخون أمانة ولا ينقص وديعة، ولا يخالف وعداً، ولا ينقض عهداً، وبالأعفّاء الصادقين تنهض الأمم وإليهم توكل الشؤون ذات الخطر.

وكانت العفة من شروط السيادة كالشجاعة والكرم، وكانوا يفخرون بالعفة ويُمدحون بها، فهذا عنترة بن شداد مثلاً يقول[1]:

أَغْشَى فَتَاةَ الحَيِّ عِنْدَ حَلِيْلِهَا ... وَإِذَا غَزَا فِي الجَيْشِ لاَ أَغْشَاهَا

وَأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي ... حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا

إِنِّي امْرُؤٌ سَمْحُ الخَلِيْقَةِ مَاجِدٌ ... لاَ أُتْبِعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ هَوَاهَا

وهذه صفات علو في أخلاق العرب وفي سلوكهم، وفضيلة من فضائلهم وتعليمهم الذي ربوا عليه، واحترموه، وقد فطن الشاعر إلى ما يبعد عنه فأزاحها حتى لا تتلجلج في صدر غيره، فلا يزور المغيبة من النساء ولا يتبع جارته نظره حتى تدخل بيتها، وإذا هويت نفسه ما فيه غضاضة ولجّت في حثه عليه منعها و لم يتبعها بما تصبو إليه، وكأنه يرسي قواعد العفة من ضبط النفس وعدم تركها لهواها، ويلزمها بصون الحرمات والتزامها بأخلاق المجتمع وأعراف الناس.

وقد رثت الخنساء أخاها صخراً، فنوهت بعفته وغضه الطرف عن النساء فقالت[2]:

---

[1] عنترة بن شداد: ديوان عنترة، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، ص ٣٠٨.

[2] الخنساء تماضر بنت عمرو: ديوان الخنساء، شرح وتحقيق: عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٤٠.

www.mtenback.com

لَمْ تَـرَهُ جَارَةٌ يَمْشِـي بِسَاحَتِـهَا ... لِرِيبَةٍ حِـينَ يُخْلِي بَيْتَـهُ الجَـارُ

قال الشاعر[٣]:

يَا شَاةُ مَا قَنَصٌ لِمَـنْ حَلَّـتْ لَـهُ ... حَرُمَتْ عَلَـيَّ وَلَيْتَهَـا لَـمْ تَحْـرُمِ

يعني جارته، لأنه يجب أن يحافظ عليها فمن كانت له حمية، فالجارة عنده كالأم أو الأخت ولها حرمة يجب أن يحافظ عليها ويرعى حقها بمروءته وشرفه وهذا معن بن أوس ينوه بعفته وحسن خلقه فيقول:

لَعَمْرُكِ مَا أَهْوَيْتُ كَفِّـي لِرِيبَـةٍ ... وَلا حَمَلَتْنِي نَحْوَ فَاحِشَـةٍ رِجْلِـي

وَأَعْلَمُ أَنِّـي لَـمْ تُصِبْنِـي مُصِيبَـةٌ ... مِنَ الدَّهْرِ إِلاَّ قَدْ أَصَابَتْ فَتًى قَبْلِـي

وَلَسْتُ بِمَاشٍ مَـا حَيِيْـتُ لِمُنْكَـرٍ ... مِنَ الأَمْرِ لاَ يَمْشِي إِلى مِثْلِـهِ مِثْلِـي

وهكذا شاعت هذه القيمة الخلقية في عاداتهم حتى كثر الممدحون بها منهم.

وجاء الإسلام فحث على تعهد هذا الخلق وتنميته وربطه بمعاني الإيمان وثماره، وجعله من وسائل الفلاح في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[٤] إلى أن قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[٥].

---

[٣] القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، دار القلم، دمشق، تحقيق: د.محمد علي الهاشمي، ج١، ص٤٨٨، وورد هذا البيت في ديوان عنترة ص٢١٣.

[٤] سورة المؤمنون: ١-٢.

[٥] سورة المؤمنون: ٥-٨.

www.mtenback.com

العفة لغة:

جاء في مختصر العين[٦]: العفة الكف عما لا يحل، رجل عَفٌّ: بيّن العفاف، والفعل منه عَفَفْت، أَعُف، وعَفِفْتُ أعَف. وهو عفيف.

وعَفَّ عن المحارم والأطماع الدنية يَعف عفة وعَفًا وعَفافًا وعَفافةً فهو عَفيف.

عَفّ أي كفّ، وتعفّف واستعفف: أعفه الله، وفي التنزيل: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾[٧] أي ليضبط كلٌّ نفسه بمثل الصوم فإنه وجَاؤُه.

وفي الحديث: «ومن يستعفف يُعفّه الله»[٨].

والاستعفاف: طلب العَفاف، وهو الكف عن الحرام والكف عن سؤال الناس أي من طلب العفة وتكلفها أعطاه الله إياها بأسبابها وبالعمل لها.

وقيل الاستعفاف الصبر والنزاهة عن الشيء ومنه الحديث: «اللهم إني أَسألك العفة والغنى»[٩] والحديث الآخر: «فإنهم ما علمت أعفة صُبُر».

ورجل عَفٌّ وعفيف والجمع أعفة و أَعفاء، والعفيفة من النساء السيدة الخيرة، ونسوة عفائف، ورجل عفيف وعَفّ عن المسألة والحرص، ووصف قومًا: أعفة الفقر أي إذا افتقروا، واستعفِف أي عُفّ، وفي التنزيل: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾[١٠] وكذلك تعفف أي تكلف العفة وعَفّ واعتف من العفة.

---

[٦] الزبيدي، أبوبكر محمد، بن الحسن بن عبد الله: مختصر العين، تحقيق: نور حامد الشاذلي، ج١، ص٥٣.

[٧] سورة النور: ٣٣.

[٨] صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، ج٢، ص٧٢، الحديث ١٠٥٣.

[٩] صحيح البخاري، كتاب الأدب المفرد، ج٢، ص١٢٨.

[١٠] سورة النساء: ٦.

www.mtenback.com

قال عمرو بن الأهتم:

إِنَّا بَنُـــو مُنْقَـــرٍ قَـــوْمٌ ذَوُو حَسَـــبٍ فِيْنَا سَـــرَاةُ بَنِـــي سَـــعْدٍ وَنَادِيْهَـــا

جُرْثُومَـــةٌ أُنُـــفٌ، يَعْتَـــفُّ مُقْتِرُهَـــا عَنِ الخَبِيْثِ وَيُعْطِي الخَـــيْرَ مثريهـــا

العفة اصطلاحًا:

العفة صفة من صفات النفس الفاضلة، وهي بمعناها النفسي التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في الشهوة والغضب، فلا يشتهي المرء شيئًا حرمه الله ونبذته الأخلاق الكريمة والأعراف السامية، وإن وجد في نفسه باعثًا لتلبية الرغبة المريبة قاومه ودفعه بما يستطيع من طول وحول؛ لأن الله قد أباح من الشهوات ما يلبي حاجـــات النفـــس الطبيعية، فلا يبرر الخروج على تكوين الفطرة السويَّة التي فطرت عليها ولا تخالف خلق العفة. والعفة تناول اللذة باعتدال تحت حكم العقل فيما يتعلق بالرغبات الحسية، وعـــدم الإسراف في الانفعالات الوجدانية، والشريعة لم تحرم اللذة البدنية ولكنها حثـــت علـــى الاقتصاد فيها، وأحاطتها بسياج يجعلها خاضعة لحكم العقل. وقد عرف مسكويه العفة بأنها فضيلة الحس الشهواني وظهور هذه الفضيلة في الإنسان يكون بأن يصرف شهواته بحسب الرأي، أي أن يوافق التمييز الصحيح حتى لا ينقاد لها ويصير حرًا غـــير متعبـــد لشيء من شهواته[11].

ويورد ابن مسكويه عددًا من الفضائل تصدر عن معنى العفة مثل:

الحياء، الدعة، الصبر، السخاء، الحرية، القناعة، الدماثة، الانتظام، حسن الهدي، المسالمة، الوقار والورع.

ثم بيَّن كيف تكون كل فضيلة من هذه الفضائل متصلة بالعفة فيقول:

---

[11] ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعـــراق، ط٢، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص٤٠-٤١.

www.mtenback.com

«الحياء انحصار النفس وخوف إتيان القبائح، والحذر من الذم والسب، وأما الدعة فهو سكون النفس عند حركة الشهوات، وأما الصبر فهو مقاومة النفس للهوى لئلا تنقاد لقبائح اللذات، وأما السخاء فهو التوسط في الإعطاء وهو أن ينفق الأموال فيما ينبغي على مقدار ما ينبغي وعلى ما ينبغي، وأما الحرية فهي فضيلة للنفس، بها يُكتسب المال من وجهه ويعطى في وجهه، ويمتنع من اكتساب المال من غير وجهه، وأما القناعة فهي التساهل في المأكل، والمشارب والزينة، وأما الدماثة فهي حسن انقياد النفس لما يجمل تسريعها إلى الجميل، وأما الانتظام فهو حال للنفس تقودها إلى حسن تقدير الأمور وترتيبها كما ينبغي. وأما حسن الهدي فهو محبة تكميل النفس بالزينة الحسنة، وأما المسالمة فهي موادعة تحصل للنفس عن ملكة لا اضطرار فيها، وأما الوقار فهو سكون النفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب، وأما الورع فهو لزوم الأعمال الجميلة التي فيها كمال النفس»[١٢].

وجاء في «الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب»[١٣] تعريف للعفة بأنها: الرضا بما يفعل الله قدم في الحب راسخة، وغرة من غرر القوم شامخة، والحب يثمر الرضا بمراد المحبوب ومن معالم الرضا والقناعة:

فَاقْنَعْ بِمَا أَعْطَاكَ رَبُّكَ وَاغْتَنِمْ ... مِنْهُ السُّرُورَ وَخَلِّ مَا لاَ يَنْفَعُ

العفة:

في كتاب «الأخلاق في الإسلام»: «العفة نوعان أحدهما ضبط الفرج عن الحرام والثاني كف اللسان عن الأعراض، وأما ضبط الفرج عن الحرام فلأن عدمه مع وعيد الشرع وزاجر العقل معرة فاضحة، وأما العفة عن المأثم فنوعان: أحدهما كف

---

[١٢] ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص٤١.

[١٣] عبد العزيز بن عبد الله: الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص١١٢.

www.mtenback.com

عن المجاهرة بالظلم، والثاني: زجر النفس عن الإسرار بالخيانة، فأما المجاهرة بالظلم، فعتو مهلك، وطغيان متلف، هو يؤول إن استمر إلى فتنة أو جلاء، وأما الإسرار بالخيانة فضعة»[١٤].

و«الداعي إلى ذلك شيئان: أحدهما إرسال الطرف والثاني اتباع الشهوة وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك والثانية عليك»[١٥]. وفي ذلك تأويلان أحدهما لا تتبع عينيك نظر قلبك، والثاني لا تتبع الأولى التي وقعت سهواً بالنظرة الثانية التي توقعها عمداً، وأما الشهوة فهي خادعة للعقول ومحسنة للقبائح وقهرها عن هذه الأحوال يكون بثلاثة أمور: غض الطرف عن إثارتها وكفه عن مساعدتها فإنه الرائد المحرك والقائد المهلك وترغيبها في الحلال عوضًا وإقناعها بالمباح بدلاً، وإشعار النفس تقوى الله تعالى في أوامره واتقاؤه في زواجره وإلزامها ما ألزم من طاعته وتحذيرها ما حذر من معصيته وإعلامها أنه لا يخفى عليه ضمير وأنه يجازي المحسن ويكافئ المسيء، وبذلك نزلت كتبه وبلغت رسله.

روى ابن مسعود أن آخر ما نزل من القرآن ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[١٦].

فإذا أشعر نفسه هذه الحال صفت وانقادت إلى الكف وأذعنت فسلم دينه وظهرت مروءته.

---

[١٤] محمود علي قراعة، الأخلاق في الإسلام، ص٢٤، ط٢، مكتبة مصر بالفجالة.

[١٥] أخرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة، ج٥، ص١٠١.

[١٦] سورة البقرة: ٢٨١.

www.mtenback.com

ويعرِّف د. عبد الرحمن بدوي[17] العفة بأنها «الاعتدال في تناول لذات الحواس ولكنها في مدلولها العام الشرط في كل فضيلة، فلولاها لصارت الفطنة مكرًا ودهاءً، والشجاعة تجاوزًا للهدف، والعدالة نوعًا من الظلم، إنها تنظم الشهوات وتخضعها لحكم العقل، ومن أنواع العفة الاعتدال في الطعام والشراب والمتعة الجنسية والحياء والاحتشام مع الناس، وكما أن التلميذ يجب أن يطيع تعاليم أستاذه كذلك يجب على قوة الشهوة أن تتبع العقل، ولذا يجب الاعتدال والتوفيق بين الشهوة وأحكام العقل، وكلاهما يهدف إلى الجمال الخلقي وهكذا يشتهي المعتدل أو العفيف ما يجب عليه، وعلى النحو الذي يجب عليه أن يشتهيه وهذا أيضًا هو ما يقضي العقل باشتهائه».

فالعفة تهدف إلى إخضاع الشهوات والغرائز لضوابط العقل وتحارب الانهماك في الشهوات وتسعى لتنظيم السلوك الظاهر والسلوك الباطن للإنسان، ويشير المؤلف إلى الفرق بين العفة والتقشف فيقول: «ينبغي أن نميز بين العفة والتقشف: فالعفة اعتدال والتقشف حرمان»[18].

وعن معنى العفة وضدها يتحدث «عبد الرحمن حبنكة الميداني»[19] فيقول: «العفة هي كف النفس عن المحارم وعما لا يجمل بالإنسان فعله ومنها العفة عن اقتراف الشهوة المحرمة، وعن أكل المال الحرام، وعن ممارسة ما لا يليق بالإنسان أن يفعله مما لا يتناسب مع مكانته الاجتماعية ومما يراه الناس من الدناءات كالجشع في الولائم والتسابق على أطايب الطعام، وكالجشع في التجارة ومزاحمة صغار الكسبة في مجالاتهم الحقيرة قليلة الموارد والأرباح وكالتعرض لمحقرات المنافع عن طريق التطفل أو ما يشبه التطفل إلى غير ذلك من أمور كثيرة».

---

[17] عبد الرحمن بدوي: الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات الكويت، ط١، (١٩٧٥م)، ص١٨٠ــ١٨١

[18] المصدر السابق نفسه..

[19] الميداني، عبد الرحمن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها دار القلم، بيروت، لبنان، ج٢، ص٥٦١ــ٥٦٣.

www.mtenback.com

ويرجع دوافع العفة إلى أكثر من إحساس خلقي حيث وضع المثيرات، ونظر إلى دوافع النفس تجاهها ثم نظر إلى القوة الضابطة التي تضبط النفس عن تلبية دوافعها فيما لا يحل أو فيما لا يجمل بالإنسان فعله، فكشفت له مجموعة من العوامل التي ترجع إلى مجموعة من الأسس الأخلاقية ومنها الصبر، والخوف من عاقبة العمل، ومنها الطمع بثواب الكف عن العمل السيئ وحب الحق الذي يجعل صاحبه يكف عما لا حق له به. يقول: «فبمقدار ما لدى الإرادة من قدرة على الصبر تستطيع القيام بضبط النفس عن تلبية الدافع المشار، فتكون العفة عندئذ من مظاهر خلق الصبر ويكون الضبط بتأثير الخوف من العاقبة أو بتأثير الطمع بالثواب، تكون العفة من مظاهره وحين تجتمع كل هذه العوامل تكون العفة مظهراً اشتركت فيه جملة أسس أخلاقية».

والعفة لا تكون إلا إذا وجد الدافع النفسي إلى ما ينافيها، فإذا لم يكن في النفس دافع أو لم يوجد ما يثيره، لم تكن العفة قائمةً أصلاً، وقصة سيدنا يوسف خير مثل على ذلك فهي عفة مستوفية كل الشروط والأركان، وهي من أعظم أمثلة العفة في تاريخ الإنسان: ففي يوسف الرجولة والشباب والدافع القوي، وفي امرأة العزيز الإثارة بكل قواها: جمال، ومنصب، وإغراء كامل، ودعوة ملتهبة، وخلوة تامة، وتهديد إن لم يستجب، ومع استيفاء كل هذه العوامل القوية تبرز فضيلة العفة في يوسف - عليه السلام - فيضبط نفسه بصبر منقطع النظير، ويقاوم الدوافع والمغريات بإصرار وعزيمة قوية ترفعًا عن الخيانة، وطلبًا لمرضاة الله وينتصر خُلُقه العظيم في معركة الدوافع والمغريات والتهديدات.

وقد عرض القرآن الكريم قصة يوسف مع امرأة العزيز أروع عرض يبرز الساحة النفسية عند يوسف عليه السلام، وساحة الإثارة بكل ملابساتها، وقوة الضبط الخلقي الذي جعله يكف عما لا يحل له، ويعطي أروع أمثلة العفة. قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ

www.mtenback.com

مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٢٠]. ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢١].

وكانت عفته مستوفية لكامل شروطها وأركانها وبذلك نال مجد هذا الخلق العظيم، ذلك الشاب الأعزب الغريب عن أهله ووطنه، وقد اتخذه ملك مصر وزيرًا لعفته وأمانته دون أبناء وطنه، وهو الذي جيء به إلى مصر وثمنه دراهم معدودات وكانوا فيه من الزاهدين.

أكثر ما يتبادر إلى ذهن السامع عند ذكر العفة أو معناها الأول وهو الترفع عن السلوك المرفوض خلقيًا، سواءً من (المرأة أو الرجل)، وأكثر ما يمدح بالعفة النساء لخصوصية شأنهن في مطالب العفة، وإذا وُصف إنسان، رجل أو امرأة بالعفة دون تقييد فهم منها نظافة سلوكه الشخصي وابتعاده بنفسه عن مواطن الرذيلة، وارتفاعه عن السلوك الشائن، وقد ربطت اللغة بين العفاف وبين الطهارة المعنوية وجعلت العفة لباس التقوى، وقد مدحت النساء بخاصة بالعفاف ووصفن به.

ولأن العفة ارتبطت إلى حد كبير بالعلاقة الجنسية فقد حرص العرب على أن تكون العفة قيمة خلقية، يحافظون عليها، ويدعون لها، ويجلون من يتصف بها، ولانجد من القيم الاجتماعية التي نمت في البيئة العربية قيمة أعلى من العفة ولا سيما عند المرأة.

والغريزة دافع قوي إلى الجنس الآخر وحاجة فسيولوجية، إشباعها ضرورة، وتلبيتها مشروعة في كل قوانين المجتمعات، ولكن تنظيم هذه الغريزة وتقنينها حدد

---

[٢٠] سورة يوسف: ٢٣.

[٢١] سورة يوسف: ٢٤-٢٥.

www.mtenback.com

بالزواج واختيار الرجل المرأة التي يريد، وقبول المرأة الرجل عند طلبه يدها، واختصت هذه العلاقة بهذا الجانب وحده، ومنعت العبثية في العلاقات الجنسية في كل المجتمعات الإنسانية.

أما الذين لا تمكنهم ظروفهم المادية من الزواج فعليهم بالأخذ بوسائل العفة من البعد عن المثيرات لأن الغريزة تنشط بكثرة مثيراتها، وتهدأ بقلة مثيراتها، وقضاء الأوقات فيما يفيد، وتقوية الجانب الروحي ومجالسة الأصدقاء الصالحين والعلماء العاملين كلها من وسائل العفة، وقد أمر الله الذين لا يجدون قدرة على النكاح بالعفة حتى يغنيهم الله من فضله، و لم يأذن لهم بالتفريط فيها عند حاجتهم الفسيولوجية إليها، فقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[٢٢] أي فليلزموا جانب العفة، ولا يفعلوا ما لم يأذن به الله والذين لا يجدون نكاحًا هم الذين لا يجدون قدرة مالية على الزواج، وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إشارة إلى أنهم إذا التزموا جانب العفة أغناهم الله من فضله فيتهيأ بذلك زواج مناسب لهم.

ونظرًا لما في العفاف من عزيمة وشهامة فقد جعل الله ثوابها الجنة، وعدّ رسول الله ﷺ العفيف من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله «.... وشاب دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله»[٢٣].

وقد مدح الشعراء ممدوحيهم بالعفة وعدم النظر إلى الجارة أو غيرها من نساء الحي، وفي هذا يقول أبو تمام[٢٤] ما دحًا مالك بن طوق التغلبي:

---

[٢٢] سورة النور: ٣٣.

[٢٣] صحيح مسلم، كتاب الزكاة، حديث ١٠٣١، ص٧١٥.

[٢٤] أبو تمام، ديوان أبي تمام، ص٦١.

www.mtenback.com

عَـفُّ الإِزَارِ تَنَـالُ جَـارَةُ بَيْتِـهِ أَرْفَـادَهُ وَتَجَنَّـبُ الأَرْفَاثَـا

وقال أبو فراس الحمداني مادحًا بالعفة[٢٥]:

إِنِّـي أَقُـولُ بِمَـا عَلِمْـتُ وَلاَ أَجُـوْرُ وَلاَ أَحِيْـفُ
أَمَّـا عَلِـيٌّ الْجَعْفَـرِ يُّ فَإِنَّـهُ الْحُـرُّ الْعَفِيْـفُ
نَسَـبٌ شَـرِيْفٌ زَانَـهُ فِـي أَهْلِـهِ خُلُـقٌ شَـرِيْفُ

فصفات الممدوح هي العفة والأخلاق الفاضلة والنسب الشريف وهي صفات يحافظ عليه كل شخص يرغب في حياة فاضلة بين الناس، ولا يقبل المجتمع العربي غير سلوك العفة والاتصاف بها، لأنها فضيلة ومكرمة خالدة وشرف في الدنيا يحرص عليه الشرفاء.

وقد ركزت فضائل العرب على العفة وأثنت على من يتصف بها، وحمدوا العفيف وبالغوا في احترامه، وقد كانت حياة العرب تبعث على العفاف في كل صوره ومضامينه.

العفة في الإرث العربي:

أجملت سورة النور كل أنواع العفة في عدد من الآيات الكريمة فقد حثت على غض البصر، وحفظ الفرج، وعدم إبداء الزينة، والدعوة إلى الصوم لمن لم يجد نفقات الزواج، فقال تعالى في سورة النور: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ

[٢٥] أبو فراس الحمداني، الحارث بن سعيد: ديوانه، دار صادر، بيروت، (١٩٦٨م)، ص١٩٤.

www.mtenback.com

بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢٦].

كما أمر القرآن الكريم الأوصياء على اليتامى أن يختبروهم ليعرفوا مدى إدراكهم وتصرفهم الصحيح في أموالهم قبل أن يسلموها إليهم، وأن يستعفف الغني عن أكل مال اليتيم، وإن كان فقيرًا فليأكل منه بالمعروف شرعًا وعرفًا.

قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[٢٧]. فالعفة هنا عفة مادية، وجزالة خلقية تظهر جليًا في مذاهب العرب الذين كانوا أعف الناس عن الأموال والأعراض وأغير على الحرمات.

وقد ضربت العادات العربية القديمة بسهم وافر في الحث على العفاف والابتعاد عن الشهوة والطمع وما يعاب فعله، وجاء الإسلام فأيد سلوك العرب وأمرهم بضوابط العفة، وكان الرسول عفيفًا طاهرًا أمر بالعفاف وأحبه ونهى عن الفحش في القول والعمل، فقال: «ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه»[٢٨]. والفحش نقيض العفاف وضده.

بين غنى النفس والعفاف صلة وثيقة، فقد وَرَدَ: «ليس الغنى من كثرة العَرَض لكن الغنى غنى النفس»[٢٩]. وقد كانت القناعة أحد أسس العفاف الذي تقوم عليه

---

[٢٦] سورة النور: ٣٠-٣١.

[٢٧] سورة النساء: ٦.

[٢٨] ابن ماجة: سنن ابن ماجة، حديث رقم ٤١٨٥، ص١٤٠٠، كتاب الزهد.

[٢٩] ابن ماجة: سنن ابن ماجة، حديث رقم ٤١٣٧، ص١٣٨٦، كتاب الزهد.

www.mtenback.com

خليقة المرء الكريم وجبلته فإذا كان قنوعًا راضيًا بما كتب له كانت نفسه ميالة إلى الكفاف والعفاف، وتلك شيمة العرب وطباعهم في كل حياتهم.

تكون العفة عن مجالات ومغريات النفس الحسية المختلفة، ومنها أن تقنع النفس وترعوي عن نزعاتها المادية حين يتهافت الإنسان على الاستكثار من هذه المغريات بجشع وطمع ويرضى بالدنية، ويعتاد الشكوى ويلحف في السؤال. وهذه الصورة لا تنسجم مع عزة النفس وقناعتها وتعففها ورضاها بما قسم الله لها، كما أن الحرص الزائد في نفس المرء يفسد عليه دينه، ويغلب الطمع عليه حين يتطلع لمن هو فوقه ويتعلق قلبه بزينة الحياة ويسعى للاستكثار من المال.

وقد أثنى الله على المتعففين عن المسألة وأوصى بالبحث عنهم وتعهدهم بالعطاء فقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[٣٠].

والإلحاف شدة الإلحاح في المسألة وشدة الإلحاح في الطلب «إن للفقر الحقيقي علامات تظهر على الإنسان الفقير المتعفف كما تظهر على أسرته في الطعام والملبس والمسكن وفي حالة الجسم بشكل عام وفي مراقبة موارد رزقه إلى غير ذلك من علامات، وعلى المحسنين أن يبحثوا عن أحوال الفقراء المتعففين ويمدوهم بحقوقهم التي فرضها الله في أموال الأغنياء»[٣١].

---

[٣٠] سورة البقرة: ٢٧٢-٢٧٣.

[٣١] عبد الرحمن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج٢، ص٥٦٣.

www.mtenback.com

وفي الحث على العمل لأنه خير من السؤال كما ورد عنه ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل»[٣٢] وقيل: «قليل مُدام خير من كثير مملول».

وسأل معاوية سعيد بن العاص عن المروءة فقال: العفة والحرفة.

وقال أبو تمام في معنى العفة وفي فضيلة العمل للكسب الحلال والكد حتى لا يحتاج المرء إلا لعمله وسعيه وقدرته على كسب رزقه[٣٣]:

أَعَاذِلَتِي مَا أَخْشَنَ اللَّيْلَ مَرْكَبًا ... وَأَخْشَنُ مِنْهُ فِي المُلِمَّاتِ رَاكِبُهْ

ذَرِينِي وَأَهْوَالَ الزَّمَانِ أُقَاسِهَا ... فَأَهْوَالُهُ العُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهْ

أَرَى عَاجِزًا يُدْعَى جَلِيْدًا لِقِسْمَةٍ ... وَلَو كُلِّفَ التَّقْوَى لَكَلَّتْ مَضَارِبُهْ

وَعَفًّا يُسَمَّى عَاجِزًا بِعَفَافِهِ ... وَلَوْلاَ التُّقَى مَا أَعْجَزَتْهُ مَذَاهِبُهْ

وَلَيْسَ بِعَجْزِ الْمَرْءِ أَخْطَأَهُ الغِنَى ... وَلاَ بِاحْتِيَالٍ أَدْرَكَ المَالَ كَاسِبُهْ

ليس هناك رابط بين العفاف والعوز فقد يكون الغني عفيفًا ويكون المعوز قوي الاحتيال والعمل فلا يوهب له خير ولا تقوم له منفعة وقد صدق أبو تمام في أبياته هذه حين علل أسباب الغنى والفقر وفارق بين العفاف والعجز، وبين أن العفاف خلق كريم لا يمنع غنى ولا يرد مالاً، وأن الاحتيال لا يجمع مالاً ولا يبقي ذكرًا حسنًا.

ومن العفاف بمعناه الواسع الاعتماد على النفس والجهد، وعدم الاتكال على الناس أو طلب العون منهم إلا ما لا يمكن للمرء القيام به منفردًا وقد حثت سنن العرب وأخلاقهم على الاعتزاز بقدرة الإنسان والاستقلال عن غيره في شؤونه الخاصة والعامة.

والسؤال للناس يخالف العفة وينال من كرامة المرء، وقد جاءت الأقوال المأثورة بالنهي عن السؤال مهما كان حتى أن مما أثر عن رسول الله ﷺ قوله لبعض أصحابه «ولا تسألوا الناس شيئًا» فكان يسقط سوط أحدهم فلا يسأل أحدًا يناوله إياه[٣٤].

---

[٣٢] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب اللباس، باب ٤٣، حديث رقم ٥٨٦١.

[٣٣] أبو تمام: ديوان أبي تمام، ص٤٣، وقد وردت هذه الأبيات في المستطرف، ص٥٠.

[٣٤] سنن ابن ماجة، الحديث ٢٨٦٧، وانظر صحيح مسلم، الحديث رقم ١٠٤٣، ص٧٢٠.

www.mtenback.com

ولم يترك العربي معنى الاستعفاف وفضيلته والارتفاع عن السؤال وذلّته، وسجل فيه الكثير من شعر ونثر يبين كلتا الحالتين فقالوا: «أحب الناس إلى الله من سأله، وأبغض الناس إلى الناس من احتاج إليهم وسألهم». وفي هذا المعنى قيل[٣٥]:

لا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً ... وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لاَ تُحْجَبُ

اللهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ... وَبُنِيُّ آدَمَ حِيْنَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

فكان من الأدعى إلى التعفف عن الحاجة إلى الناس باب الله الكريم المفتوح لكل سائل، الذي لا يأتي منه العطاء بمحض السؤال بل بالسؤال المقترن بالعمل والنشاط والإنسان يجب أن يسأل الله وحده دون غيره لأنه صاحب الفضل ومقسم الأرزاق وإذا أراد شيئًا تم. يقول الشاعر[٣٦]:

إِذَا أَذِنَ اللهُ فِي حَاجَةٍ ... أَتَاكَ النَّجَاحُ عَلَى رِسْلِهِ

فَلاَ تَسْأَلِ النَّاسَ مِنْ فَضْلِهِمْ ... وَلَكِنْ سَلِ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ

وممن دعا إلى الخلق العربي والشهامة التي تحلى بها الفضلاء وأصبحت محمدة في حياتهم وبعد وفاتهم محمود الوراق الذي وضح الفارق بين سؤال الناس وسؤال الله والاعتماد عليه في مصادر الكسب والنجاح فقال[٣٧]:

شَادَ المُلُوكُ قُصُورَهُمْ وَتَحَصَّنُوا ... مِنْ كُلِّ طَالِبِ حَاجَةٍ أَوْ رَاغِبِ

فَارْغَبْ إِلَى مَلِكِ المُلُوكِ وَلاَ تَكُنْ ... يَا ذَا الضَّرَاعَةِ طَالِبًا مِنْ طَالِبِ

---

[٣٥] الأبشيهي، شهاب الدين: المستطرف في كل فن مستظرف، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، م١، ص٤٢.

[٣٦] المصدر السابق نفسه.

[٣٧] المصدر السابق، ص٤٣.

www.mtenback.com

وإذا كانت العفة خلقًا عند المرء رفعته عن ضِعة السؤال وحببته إلى الأصحاب ومنعته من عرض رغباته إلى غير من هو جدير بقضائها وانظر إلى هذين البيتين في معنى العفاف والكرامة[٣٨]:

لَمَّا افْتَقَرْتُ لِصَحْبِي مَا وَجَدْتُهُمُ ... لَجَأْتُ لِلهِ لَبَّانِي وَأَغْنَانِيْ

وَاهًا عَلَى بَذْلِ وَجْهِي لِلْوَرَى سَفَهًا ... فَلَوْ بَذَلْتُ إِلَى مَوْلاَيَ وَالاَنِيْ

وتجربة الأصدقاء قد لا تكون سارة في كل الأحوال فيخيب ظن الصديق إذا لم يكن عفيفًا عن صديقه وعما عنده، وقد جعلت التجارب العرب أهل علم بطوايا النفوس وحيثيات الظروف وإخفاق الوفاء عند بعضهم أو عجزه عما يريد صديقه منه إذا لم يكن عفيفًا وقد عرضوا تجربة الحياة فقال أحدهم[٣٩]:

لاَ تَسْأَلَنَّ إِلى صَدِيْقٍ حَاجَةً ... فَيَحُولُ عَنْكَ كَمَا الزَّمَانُ يَحُولُ

وَاسْتَغْنِ بِالشَّيءِ القَلِيْلِ فَإِنَّهُ ... مَا صَانَ عِرْضَكَ لاَ يُقَالُ قَلِيْلُ

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الصَّدِيْقِ لِقَاؤُهُ ... وَأَخُو الحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُولُ

وَأَخُوكَ منَ وفَّرْتَ مَا فِي كَفِّهِ ... وَمَتَى عَلِقْتَ بِهِ فَأَنْتَ ثَقِيْلُ

والعطاء الكريم هو ما يأتي طوعًا بدون سؤال، أما إذا احتاج المرء إلى السؤال فإن ذلك لا يكون جودًا فالسائل يعطيه الجواد ويعطيه البخيل، ولكن الجواد الحقيقي الذي يكون الجود طبعًا فيه هو من يعطي قبل السؤال فيحفظ للسائل ماء وجهه، وفي ذلك يقول الشاعر[٤٠]:

لَيْسَ جُوْدًا أَعطيتَهُ بِسُؤَالٍ ... قَدْ يَهُزُّ السُّؤَالُ غَيْرَ جَوَادِ

---

[٣٨] الأبشيهي، المستطرف، ص٤٣.

[٣٩] المصدر السابق، ص٤٤.

[٤٠] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

إِنَّمَا الجُودُ مَا أَتَاكَ ابْتِدَاءً لَمْ تَذُقْ فِيهِ ذِلَّةَ التَّرْدَادِ

ولم يكن الموت هو الفناء وانقطاع الحياة في رأي الشاعر نفسه لكن الموت الحقيقي في رأيه هو حاجة المرء إلى سؤال الناس أعطوه أو منعوه، قال:

لاَ تَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ البِلَى وإِنَّمَا المُوْتُ سُؤَالُ الرِّجَالِ

كِلاَهُمَا مَوْتٌ وَلَكِنَّ ذَا أَخَفُّ مِنْ ذَاكَ لِذُلِ السُّؤَالِ

وجاء في النهي عن السؤال قول الإمام مالك[٤١]: «... أقلل طلب الحوائج بين الناس، فإن في ذلك غضاضة، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال لرجل: لا تسأل الناس».

وقال الجاحظ في عدم رد السائل المحتاج[٤٢]: «إن أحق من أسعفته في حاجته وأجبته إلى طلبته من يرسل إليك بالأمل وينزع نحوك بالرجاء».

ومما جاء في حسن السؤال وعدم الإلحاح رسالة القبالي إلى صديق له يطلب منه بعض المال: «اعلم أن الكريم إذا استحيا من إعطاء القليل ولم يمكنه الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر همته».

ومن آداب العفاف بل آداب النفس الكريمة الظهور أمام الناس بمظهر الغني عنهم وإشعار من حوله بأنه لا يحتاج إليهم ولا يعوزه شيء عندهم وقد صدق العربي كل الصدق حين وصف الكريم حقًا بقوله[٤٣]:

إِنَّ الكَرِيْمَ لَيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهْوَ مَجْهُودُ

---

[٤١] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر العباسي الأول، ص٤٠٧.

[٤٢] الأبشيهي: المستطرف، ص٤٤.

[٤٣] الأبيات لبشار بن برد يهجو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وكان بشار قد استمنحه. ووردت هذه الأبيات في الأغاني ج٣، ص٤٦. ووردت أيضًا في جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ج٢، ص٣٠٧.

www.mtenback.com

وَلِلْبَخِيْلِ عَلَى أَمْوالِهِ عِلَلٌ ... زُرْقُ العُيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهٌ سُوْدُ
إِذَا تَكَرَّهْتَ عَنْ بَذْلِ القَلِيْلِ وَلَمْ ... تَقْدِرْ عَلى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرِ الجُوْدُ
بُثَّ النَّوَالَ وَلاَ تَمْنَعْكَ قِلَّتُهُ ... فَكُلُّ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهْوَ مَحْمُودُ

ولا يمنع العفاف من حمد المنعم إذا كان من أهل السلطان الذين جعل الله مال عباده بين أيديهم وأمرهم بالعدل فيه وتوزيعه على مصارفه، فإذا أصاب أحد منهم نعمة عبر عنها بما يستحق دون مبالغة أو تملق وقد عرض محمد بن حماد بعض شعره معرض الحمد عندما نال من عطاء السلطان ما نال فقال[٤٤]:

جَذَبْتُ دَوَاعِيْ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ المُنَى ... وَقُلْتُ لَهَا كُفِّي عَنِ الطَّلَبِ الْمُزْرِي
فَإِنَّ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ بِكَفِّهِ ... مَدَارُ رَحَى بِالرِّزْقِ دَائِبَةٌ تَجْرِي

وقد حدا ذلك بالسلطان إلى أن يوقع على طلبه بالعبارة التالية: «جذبُكَ نفسك عن امتهانها بالمسألة دعاني إلى صونك بسعة فضلي عليك فخذ ما طلبت هنيئًا».

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض الأجناد يوصيهم بالعفة فقال[٤٥]: «إن ابتلاك الله بفقر فتعفف في فقرك وأخبت لقضاء ربك، واعتبر بما قسم الله لك من الإسلام، وما زوى عنك من نعمة دنياك، فإن في الإسلام خلفًا من الذهب والفضة، والدنيا الفانية»، وذلك سلوة تقوي إرادة النفس وتدفع عنها الضعة، وتبعدها عن أماكن الخضوع من أجل الدنيا أو في سبيل الكسب، وإذا كان المرء من أهل المكانة في المجتمع وموضع القدوة لهم، فرسالته تكون أكثر بلاغًا من غيره وقد تنبه عبد الحميد الكاتب إلى ذلك حين أوصى الكتاب بقوله: «إن الكاتب يحتاج إلى أن يكون حليمًا في موضع الحلم، فهيمًا في موضع الحكم، مقدامًا في موضع الإقدام، محجامًا في موضع

---

[٤٤] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الأموي، ج٢، ص٣٠٧.
[٤٥] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

الإحجام، مؤثراً للعفاف و العدل والإنصاف. فاستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم»[٤٦] صورة يرسمها رئيس الكتاب، أي المثقفين في لغة زماننا، ودستوراً يمليه عليهم، ليكونوا قدوة للناس. وأجل تلك القدوة هو العفاف عما في أيدي العامة والخاصة.

ومن العفاف العمل للغنى والسفر للكسب والاغتراب في سبيل الربح، وقد عبر العربي بفطرته السليمة عن معنى الكسب الحر النزيه وبين فضل الغنى على الإنسان خاصة وأثره على الناس الذين يرون الغني ويتعاملون معه فقال[٤٧]:

سَأَعْمِلُ نَصَّ العِيْسِ حَتَّى يَكُفَّنِي ... غِنَى المَالِ يَوْمًا أَوْ غِنَى الحِدثَانِ
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا ... عَلَى الْمَرْءِ ذِي العَلْيَاءِ مَسٌّ هَوَانِ
مَتَى مَا تَكَلَّمْ يُلْغَ حُكْمُ مَقَالِهِ ... وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا: عَدِيْمُ بَيَانِ
كَأَنَّ الغِنَى فِي أَهْلِهِ بُورِكَ الغِنَى ... بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٌ بِلِسَانِ

وقال أبو العتاهية في ذم السؤال[٤٨]:

أَتَدْرِي أَيَّ ذُلٍّ فِي السُّؤَالِ ... وَفِي بَذْلِ الوُجُوهِ إِلَى الرِّجَالِ
يَعُزُّ عَلَى التَّنَزُّهِ مَنْ بَغَاهُ ... وَيَسْتَغْنِي العَفِيْفُ بِغَيْرِ مَالِ
وَأَنْتَ تُصِيْبُ قُوْتَكَ فِي عَفَافٍ ... وَرِيًّا إِنْ ظَمِئْتَ مِنَ الزُّلَالِ
إِذَا كَانَ القَلِيْلُ يَسُدُّ فَقْرِي ... وَلَمْ أَجِدِ الْكَثِيْرَ فَلاَ أُبَالِي

فالغنى غنى النفس وخير للمرء أن يعف عما في أيدي الناس لئلا يتعرض لذل السؤال وتلك قيمة اجتماعية تبعث السعادة في النفس والطمأنينة في القلب فلا يبتئس

---

[٤٦] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الأموي، ج٢، ص٣٠٧.
[٤٧] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، ج١، ص١٨٥.
[٤٨] أبو العتاهية، أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم: ديوانه، دار صادر، بيروت، (١٣٨٤هـ)، ص٦٢٧.

www.mtenback.com

الإنسان ولا يقع في دائرة القلق المؤذي له ولمن حوله ممن يعيش معه، إذا كان لديه ما يغنيه عن الناس ويسد حاجته وأي غنى غير ذلك.

فالمبدأ المحمود أن تكون عفيفًا وأن تتصف بفضائل الأعمال وتزهد بما عند غيرك ولا يكون أحد أغنى من الذين يحتقرون ما في أيدي الناس ويباهون بما في أيديهم وإن قل، ولعل هذين البيتين لشقران مولى سلامان يلخصان لنا فكرة المروءة الناتجة عن غنى النفس قبل غنى المال[٤٩]:

أُولَئِكَ قَوْمِي بَارَكَ اللهُ فِيهِمُ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمَا

ثِقَالُ الجِفَانِ وَالحُلُومِ رَحَاهُمُ ... رَحَى المَاءِ يَكْتَالُونَ كَيْلاً غَذَمْذَمَا

فقد وصف قومه بأنهم ثقال الحلوم، يريد الوقار أي لا طيش فيهم، ورحاهم، رحى الماء لأنها أكثر طحنًا من رحى اليد، والغذمذم، الكثير الجزاف والمعنى: دعا لهم بالبركة ووصفهم بالكرم والعفة وهما ميزة الأقوام الفاضلة.

ولكن الإنسان قد تضطره الحياة إلى طلب العون من الآخرين ولا بد من صلة المرء بإخوانه، ولولا ذلك لما كان للمجتمع قيمة ولا وظيفة وهو بعونه لغيره قد يسعد نفسه قبل أن يسعد من يناله معروفه.

لكن ما الأسلوب الذي ينبغي أن يتّبع حين يُطلب الرِّفد، ويُطمع في النوال. للإجابة على هذا السؤال يمكننا أن نستمع إلى قول أبي الأسود الدؤلي[٥٠]:

إِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً ... فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى لَئِيمٍ حَاجَةً ... فَأَلِحَّ فِي رِفْقٍ وَأَنْتَ مُدِيمُ

---

[٤٩] الجاحظ: البيان والتبيين، ص٥٣١.

[٥٠] ابن عبد البر القرطبي، أبي عمر يوسف: بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، ج٢، القسم الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٦٤٠.

www.mtenback.com

ويرى عامر بن قيس العنبري أن مناط الحاجات يجب أن يكون إلى الـــذات وأن يسلي نفسه بما وعد الله عباده الصابرين وأن يتأمل بأسباب القناعة ويجرد نفسه مـــن مطالب الدنيا وأطماعها فيقول: «أربع آيات من كتاب الله إذا قرأتهن مساءً لم أُبـــال على ما أُمس، وإذا تلوتهن صباحًا لم أبال على ما أُصبح»[٥١] قال تعالى:﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾[٥٢] وقال تعـــالى: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[٥٣] وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[٥٤] وقال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[٥٥].

لقد بعثت هذه الآيات السلوة في نفسه والقناعة برزقه والعفاف عما عند غـــيره وذلك هو الأولى بالمروءة والكرم والخلق العربي الأصيل.

وجاء في المسألة قول عبيد بن الأبرص الأسدي[٥٦]:

مَـــنْ يَسْـــلِ النَّـــاسَ يَحْرِمُـــوهُ وَسَـــــائِلُ اللهِ لاَ يَخِيْـــــبُ

ولا شك أن النفس الراضية هي التي تملي على الإنسان فضيلة العفاف، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة كن ورِعًا تكـــن أعبـــد الناس وكن قنعًا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًـــا..»[٥٧].

---

[٥١] ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣، ص٢٠٦.

[٥٢] سورة فاطر: ٢.

[٥٣] سورة يونس: ١٠٧.

[٥٤] سورة هود: ٦.

[٥٥] سورة الطلاق: ٧.

[٥٦] عبيد بن الأبرص: ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، ص٢٦.

[٥٧] أخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب الزهد، باب ٤، حديث رقم ٤٢١٧.

www.mtenback.com

واستلهم الشاعر معنى ذلك فنصح من لم تساعده الظروف على تجاوز عثرات الأيام بالعودة إلى النفس والرضا حتى يكون غنيًا بقناعته لا بماله:

تَقَنَّعْ بِمَا يَكْفِيكَ وَالْتَمِسِ الرِّضَا ... فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي أَتُصْبِحُ أَمْ تُمْسِي

فَلَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ إِنَّمَا ... يَكُونُ الغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ

فالنفس هي التي ترغب وترد إلى القليل فتقنع، وإذا ترك المرء ما في أيدي الناس ولم يرغب فيه قنع وعف، ولكن مع العمل للكسب الحلال، والبحث عن مواقع الرزق، والاعتماد على بذل الجهد في ما هو مباح حسن المخرج، ولا يقول الإنسان إن السماء تمطر ذهبًا، ولا يتكل على غير جهده وعمله وبحثه في مشروع الكسب وضربه في الأرض ليرزق ويقنع ويعف.

ويرى حازم أن المال الذي لا يذهب هو ما تكنه جوانحه وينطوي عليه ضميره فيقول[٥٨]:

لِلنَّاسِ مَالٌ وَلِي مَالاَنِ مَالَهُمَا ... إِذَا تَحَارَسَ أَهْلُ المَالِ أَحْرَاسُ

مَالِي الرِّضَا بِالَّذِي أَصْبَحْتُ أَمْلِكُهُ ... وَمَالِيَ اليَأْسُ مِمَّا يَمْلِكُ النَّاسُ

ولعل ما يصدق ذلك كله وهو خير منه حث الرسول ﷺ أصحابه على العمل باليد وبالتجارة وطلب الرزق من مظانه حتى روي عنه قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه»[٥٩]. تلك هي العزة والكرامة أن تكون عاملاً غير محتاج إلى فضل أحد من خلق الله وأن تكون قوي الإرادة نافعًا نفسك وقد تنفع غيرك.

فالعمل حسن وإن كان احتطابًا، والأخذ بالأسباب خير من أن يسأل الرجل الناس أعطوه أو منعوه، والحض على التعفف عن المسألة والتنزه خلق عربي وسمة فاضلة

---

[٥٨] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص ١٨٥.

[٥٩] أخرجه البخاري، في الصحيح، كتاب الزكاة، باب ٥٠، حديث رقم ١٤٧٠هـ.

www.mtenback.com

حتى لو امتهن الحطب في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلك، ولولا قبح المسألة في نظر العربي لم يفضل الشقاء عليها، وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال ومن ذل الرد إذا لم يُعط.

والزهد بما في أيدي الناس يحبب المرء إليهم، ومن أسباب القناعة أن ينظر المرء إلى حال من كان دونه ليعرف نعمة الله عليه، وصاحب النفس العفيفة لا يرضى أن تكون يده السفلى قال رسول الله ﷺ: «اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة»[٦٠].

ومما يقوي القناعة علم المرء أن السؤال ذل في الدنيا وفضيحة وعذاب في الآخرة، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ «من سأل الناس أموالهم تكثرًا فإنما يسأل جمرًا فليستقل أو ليستكثر»[٦١]. ومقابل ذلك حال العفيف المتعفف الذي له الجنة بوعد الصادق حيث قال: من أهل الجنة «عفيف ومتعفف ذو عيال» إذ إنه يجاهد نفسه مع وجود الحاجة، ومن المجاهدة ألا تكون الشكوى إلا إلى الله وألا ينتظر الفرج إلا منه سبحانه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حرفة يقال فيها خير من مسألة الناس»[٦٢].

وفي غنى النفس وأنه من العفة يقول أبو فراس[٦٣]:

غِنَى النَّفْسِ لِمَنْ يَعْقِلُ خَيْرٌ مِنْ غِنَى المَالِ
وَفَضْلُ النَّاسِ فِي الأَنْفُسِ لَيْسَ الفَضْلُ فِي الحَالِ

---

[٦٠] صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ٣٥ الحديث ١٠٤١.

[٦١] صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ٣٥ الحديث ١٠٤١.

[٦٢] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص١٨٤.

[٦٣] أبو فراس الحمداني: ديوان أبي فراس ص٢٤.

www.mtenback.com

وقال أيضًا مظهرًا عفته عن كثير من الأمور حتى لا يتهم ولا يُذم:

لَسْتُ بِالْمُسْتَضِيمِ مَنْ هَوْ دُونِي ... اعْتِدَاءً، وَلَسْتُ بِالْمُسْتَضَامِ

رُبَّ أَمْرٍ عَفَفْتُ عَنْهُ اخْتِيَارًا ... حَذَرًا مِنْ أَصَابِعِ الأَيْتَامِ

أَبْذُلُ الحَقَّ لِلْخُصُومِ إِذَا مَا ... عَجِزَتْ عَنْهُ قُدْرَةُ الحُكَّامِ

ومما جاء في عدم السؤال والاستغناء بالله عن الناس قول القائل: «اطلب الرزق من حيث كفل لك فالمتكفل به أمين، ولا تطلبه من طالب مثلك لا ضمان لك عليه»[٦٤].

ولا يكثر الناس من الحديث عن شيء إلا وهو خصلة من خصال البشر تكثر أو تقل، وما ينهى عنه إلا وفيه منقصة على فاعله، وقد كانت العرب تعرف ضعف الإنسان وما قد يتعرض له من ضغوط الحياة وحاجاتها فأكثرت النهي عمّا يخدش الكرامة أو يقلل من الشعور بالذات الإنسانية، وقد قالوا: إياك وطلب ما في أيدي الناس فإنه فقر حاضر. وهذا القول خلاصة تجربة طويلة ومعرفة قوية زادتها الأيام وعمقتها صلة الإنسان بالآخر، ومحاولته الارتقاء إلى السواسية والموازاة أو طلب ذلك حتى لو عجز بعض الناس.

وقد سجل ابن المقفع حكمته ونظرته الفاحصة في عرضه لمعنى السخاء وأقسامه فجعل أسخى السخاء ترك ما في أيدي الناس والعفة عنه فقال: «السخاء سخاءان: سخاؤك بما في يدك وسخاؤك بما في يد غيرك، وهو أمحض في الكرم وأبعد من الدنس ومن جمعهما فقد استكمل الفضل»[٦٥].

وذكروا من مأثورهم: من لم يستوحش من ذل السؤال لم يأنف من ذل الرد.

---

[٦٤] الراغب الأصبهاني، أبو القاسم حسن بن محمد: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، دار الآثار، بيروت، (١٣٢٦هـ)، ص٢٤٠.

[٦٥] المصدر السابق، ج١، ص٢٥٩.

www.mtenback.com

وقالوا: جلَّ في عينك من استغنى عنك.

وقال الشاعر مبينًا أثر سلوك الناس، وملخصًا نتائجه في بيت واحد جمع أطراف المعنى وبين دلالته[٦٦]:

مَتَى تَرْغَبْ إِلَى النَّاسِ تَكُنْ لِلنَّاسِ مَمْلُوكَا

وقال آخر محذرًا من سؤال لئام الناس:

إِنَّ الغِنَى عَنْ لِئَامِ النَّاسِ مَكْرُمَةٌ وَعَنْ كَرَامَتِهِم أَدْنَى إِلَى الْكَرَمِ

وقالت عابدة المهلبية مبينة ضرر السؤال[٦٧]:

لاَ تَسْأَلَنَّ الْمَرْءَ ذَاتَ يَدَيْهِ فَيُحَقِّرَنَّكَ مَنْ رَغِبْتَ إِلَيْهِ
اَلْمَرْءُ مَا لَمْ تُرْزِهِ لَكَ مُكْرِمٌ فَإِذَا رَزَأْتَ الْمَرْءَ هِنْتَ عَلَيْهِ

وقال آخر داعيًا إلى عدم سؤال أقرب الناس وإن كان خيره يعم البلاد:

اِسْتَغْنِ مَا اسْطَعْتَ عَنْ أَخِيكَ وَلَوْ أَعْشَبَ كُلَّ الْبِلاَدِ مِنْ مَطَرِهِ

وقال الشاعر مظهرًا مرارة السؤال وداعيًا إلى عدمه وإن كان محتاجًا:

وَذُقْتُ مَرَارَةَ الأَشْيَاءِ جَمْعًا فَمَا طَعْمٌ أَمَرُّ مِنْ السُّؤَالِ

ولو حفظ المرء بعض هذه الأبيات، وأحسن استذكارها عندما يشعر بما يحوجه إلى سؤال الناس تغيرت حاله وتبدل سلوكه وزادت حصانته، وأي شيء أكثر فائدة للمرء من أن يتذكر تجارب الآخرين ويحسن الاستفادة منها عند مروره بمثال قد جربه أناس قبله فأبرزوا نتائجه واختصروا طريق الوصول إليه فتكون تجربتهم عظة له واختصارًا لتجربة يجريها أو يحصل عليها.

---

[٦٦] الراغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، ج١، ص٢٥٩.

[٦٧] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

ويكفي من العيش ما جاء في الأثر المشهور: «من كان عنده قوت يومه فليس بفقير» وقيل: «من أعطي القوت فطلب مالاً كمن أعطي السلامة فطلب ألمًا فإنّ المال ألمٌ» وقد لخص أبو العتاهية الفكرة وجمع معانيها في هذين البيتين[٦٨]:

إِذَا القُوْتُ تَأَتَّى لَكَ وَالصِّحَّةُ والأَمْنُ
وَأَصْبَحْتَ أَخَا حُزْنٍ فَلاَ فَارَقَكَ الْحُزْنُ

ويبين آخر أن الطمع إذا دخل النفس فكل ما في الأرض لا يكفيها[٦٩]:

اَلنَّفْسُ تَجْزَعُ أَنْ تَكُونَ فَقِيْرَةً وَالفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ غَنًى يُطْغِيْهَا
وَغِنَى النَّفُوسِ هُوَ الْكَفَافُ فَإِنْ أَبَتْ فَجَمِيْعُ مَا فِي الأَرْضِ لاَ يَكْفِيْهَا

والمرء يرى اليوم أصحاب الدنيا وملاك الملايين ورؤساء الشركات عابرة المحيطات وهم يعيشون قلق النفس واضطراب الوجدان خوفًا من نقص الثروات الهائلة أو الخسارة لما كسبوا، أو التنافس في الزيادة لما حصلوا، ولا يكون هذا الجهد منهم إلا مقابل راحتهم وسعادتهم في الدنيا، وما بعد ذلك من شقاء قد يطول، وليست الثروة مقياس عقل أو مروءة أو شيمة ولكنها هبة للقوي، والضعيف والحازم والعاجز وقول كعب بن زهير يلخص تجربته الإنسانية حين يقول[٧٠]:

قَدْ يُعْوِزُ الحَازِمُ المَحْمُودُ نِيَّتُهُ بَعْدَ الثَّراءِ وَيُثْرِي العَاجِزُ الْحَمِقُ
فَلاَ تَخَافِي عَلَيْنَا الفَقْرَ وَانْتَظِرِي فَضْلَ الَّذِي بِالغِنَى مِنْ فَضْلِهِ نَثِقُ

وقد تكون النفس الأمارة بالسوء شديدة الحرص قوية الرغبة في الدنيا، لا تصبر على فراقها ولكن اللجام لها هو القوة على مطالبها ومنعها من التأثير في غيرها من

---

[٦٨] أبو العتاهية، ديوان ص ٦٦٤.

[٦٩] الراغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء ص٧١.

[٧٠] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص٢٠٨؛ وديوان كعب بن زهير، ص ١٨٦.

www.mtenback.com

مقومات الخلق الكريم. وما أحسن ما وصف ابن المعذّل حين جعل النفس مبارزًا عنيدًا يريده ويحاوله إلى ما لا يود أن يفعل فيقاوم وينتظر بعد غلبة وكيد[٧١]:

تُكَلِّفُنِي إِذْلاَلَ نَفْسِيْ لِعِزِّهَا ... وَهَانَ عَلَيْهَا أَنْ أُهَانَ لِتُكْرَمَا

تَقُوْلُ سَلِ المَعْرُوفَ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ ... فَقُلْتُ سَلِيهِ رَبَّ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَا

فهو يكره سؤال غير الله، ولا يقبل الذل لنفسه مهما كان الثمن مع إلحاح النفس وشدة الحاجة ولكن اقتناعه كان أقوى فانتصر في النهاية.

وفي حفظ ماء الوجه من ذل السؤال، قال مطرف بن عبد الله لابن أخيه: «إذا كانت لك حاجة فاكتب بها رقعة فإني أضن بوجهك عن ذل السؤال»[٧٢].

وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين في المعنى نفسه[٧٣]:

وَفَتًى خَلاَ مِنْ مَالِهِ ... وَمِنَ الْمُرُوْءَةِ غَيْرُ خَالِ

أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ ... فَكَفَاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ

تلك جبلة وسجية بشرية تنزل المرء إلى منازل الهلاك، وتجعل السؤال ثقيلاً على النفس حتى لو كان دون مقابل بل لو كان مشاعًا أو متروكًا مثل التراب، يكفي ألا يعف الإنسان عن الشيء فيسأل من لا يعطيه ولو كان رخيصًا تافهًا[٧٤]:

أَبَا مَالِكٍ لاَ تَسْأَلِ النَّاسَ وَالْتَمِسْ ... بِكَفَّيْكَ سَيْبَ اللهِ فَاللهُ أَوْسَعُ

فَلَوْ تَسْأَلِ النَّاسَ التُّرابَ لأَوْشَكُوا ... إِذَا قُلْتَ هَاتُوا أَنْ يَمَلُّوا فَيَمْنَعُوا

---

[٧١] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص٢٠٩.

[٧٢] المصدر السابق، م٣، ص١٨٧.

[٧٣] المصدر السابق، ص٢١٠.

[٧٤] المصدر السابق، ص٢١٠

www.mtenback.com

وقال الخليل بن أحمد مبينًا أن الرزق بيد الله لا يمنعه قوي مهما كان هذا القوي[٧٥]:

أَبْلِغْ سُلَيمَانَ أَنِّيْ عَنْهُ فِيْ سَعَةٍ ... وَفِيْ غِنًى غَيْرَ أَنِّيْ لَسْتُ ذَا مَالِ

شُحًّا بِنَفْسِيَ أَنِّيْ لاَ أَرَى أَحَدًا ... يَمُوْتُ هَزْلاً وَلاَ يَبْقَى عَلَى حَالِ

فَالرِّزْقُ عَنْ قَدَرٍ لاَ الضَّعْفُ يَمْنَعُهُ ... وَلاَ يَزِيْدُكَ فِيْهِ حَوْلُ مُحْتَالِ

ولكن قد تكون هناك مواقف أقوى من حيلة الإنسان، فيحتاج إلى التوسل بلغته لقضاء حاجته دون أن يفقد كبرياءه وكرامته ذلك إذا وجه حاجته عند الضرورة إلى كرام الناس وعرف مواطن السؤال في حدود الحاجة، وقد فعلت ذلك امرأة قدمت إلى عبيد الله بن أبي بكرة، ووقفت بين السماطين وجعلت تظهر وجهها مرة، وتستره، أخرى فلما أبصرها علم أن لها حاجة، فقال لجلسائه: ما عليكم أن تقوموا حتى تقول هذه المرأة حاجتها فتقدمت وقالت: أصلح الله الأمير إني أتيتك من أرض شاسعة ترفعني رافعة، وتخفضني واضعة، لملمات قد أكلن لحمي، وبرين عظمي فضاق بي البلد العريض، وقد جئت بلدًا لا أعرف فيه أحدًا، لا قرابة تكفيني، ولا عشيرة تعرفني، بعد أن سألت أحياء العرب: مَن المرجو نائله المعطي سائله ؟، فأرسلت إليك ودللْت عليك وأنا - أصلحك الله - امرأة قد هلك عنها الوالد، وذهب عنها الطارف والتالد، ومثلك يسد الخلة، ويزيح العلة، فإما أن تحسن صَفَدي، وتقيم أودي، وإما أن تردني إلى بلدي. فقال بل أجمع لك كل ما ذكرت. ثم أمر لها بعشرة آلاف درهم، وزادها كسوة وراحلة»[٧٦]. فما أجمل الخير في أهله.

---

[٧٥] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار ص٢١١.

[٧٦] جاد المولى، محمد أحمد، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم: قصص العرب، دار الجيل، بيروت، ج٢، ص١٣٤، ووردت هذه القصة أيضًا في غرر الخصائص الواضحة، ص١٦٥.

www.mtenback.com

العفة في الأمثال والحكم المأثورة:

عبر المثل العربي عن كل ما ينمي العفة من عوامل، مثل: حسن الخلق، والكرم وذم البخل، والمروءة، والحياء، وكما مُدح الكريم هُوجم البخيل لأن ابن الصحراء يكفيه من الطعام القليل و لم يكتف العربي بذلك، بل هاجم الغني الذي لا ينتفع المجتمع بماله، ولا يستفيد من ثروته فقال «عشب ولا بعير»[٧٧].

كما وصف غنى البخيل كالجزة على شاة السوء فقال «رب جزة على شاة سوء» ووصفوا البخيل بأقبح وصف وقالوا عنه: «يصبح ظمآن وفي البحر فمه».

وقال العربي في الإنسان الذي كثر ماله ولكنه مع ذلك لشدة جشعه وعمق طمعه يرى كل هذه الأموال قليلة: «رب مكثر مستقل لما في يديه».

و لم يكن البخيل محبوبًا حتى من أهله وأقربائه لأنه إنسان يقصر في ماله عن فائدة المجتمع الذي يعيش فيه وأشد مرارة على النفس أن يتحاماه أهله ويبعد عنه أقرانه فقال: «ومن شر ما ألقاك أهلك».

ومن الأمثال التي تهاجم البخل «يمنع درّه ودر غيره»: «وما بل إحدى يديه».

وحتى لو تعلل البخيل بالإعسار فلن يصدقه المثل فقال عنه: «قبل البكاء كان وجهك عابسًا» وقال: «لا يكسب الحمد فتى شحيح».

وقال: «يشتهي ويجيع».

وضرب المثل بحاجة الفقير إلى الغنى ومقدار كفاية كل منهما بها فقيل عن الفقير الذي يخدم الغني طلبًا لماله: «إذا شبعت الدقيقة لحست الجليلة» وفي القناعة باليسير «رضي من التمر بأقله وأردئه».

وقالوا: «رضي من العشب بالخوصة».

---

[٧٧] سامي الصقار، ريتشارد مورتيل: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض، الكتاب الثاني، ص٢٨٥.

www.mtenback.com

والعربي أبي النفس تدعوه كبرياؤه إلى كتمان حاجته وعدم التصريح بفاقته للآخرين حتى لا يُحتقر ويفتضح حفاظًا على كبريائه وإثبات ذاته قال: «ظمأ قامح خير من ري فاضح».

وقيل في الاستغناء عن الناس وعدم مسألتهم[٧٨]: «إياك والمسألة فإنها آخر كسب المرء».

وجاء في العقد الفريد[٧٩] في مدح الجود وذم البخل: «الجود محبة والبخل مبغضة»، و«بيتي يبخل لا أنا».

وقولهم:

مَا كَلَّفَ اللهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا ... وَلاَ تَجُوْدُ يَدٌ إِلاَّ بِمَا تَجِدُ

وقال آخر:

يَرَى المَرْءُ أَحْيَانًا إِذَا قَلَّ مَالُهُ ... مِنَ الخَيْرِ تَارَاتٍ وَلاَ يَسْتَطِيعُهَا

مَتَى مَا يَرُمْهَا قَصَّرَ الفَقْرُ كَفَّهُ ... فَيَضْعُفُ عَنْهَا وَالغَنِيُّ يُضِيعُهَا

وفي القناعة والدعة قالوا: «حسبك من غنى شبع وري» و «يكفيك ما يبلغك المحل».

وعن المروءة مع الحاجة قالوا: «تجوع الحرة ولا تأكل بثديها»

وفي المروءة أيضًا قالوا: «شر الفقر الخضوع وخير الغنى القناعة»

ومنه قول الشاعر:

فَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلاَ تَكُنْ ... مُتَخَشِّعًا وَتَجَمَّلِ

---

[٧٨] الراغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء، ص٢٤٠.

[٧٩] ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ج٢، ص٢٩٣.

www.mtenback.com

وفي الحض على الكسب والاجتهاد في طلب الرزق قالوا: «اطلب تظفر» أي أن السعي واجب ولا يمكن أن يرزق الإنسان وهو جالس، فالعمل شرط النجاح وقد جمعوا بين الفاقة والعجز أي ترك العمل فقالوا: «من العجز نتجت الفاقة»، ودفعوا إلى المحاولة للسلامة في أمثلتهم وبينوا كيف يحتال الإنسان وينجو حتى من الحتوف بسعيه وعمله فجاء المثل عندهم «لا يفترس الليث الظبي وهو رابض». وجمعوا بين المال والمروءة والدين فقالوا: «لا دين إلا بمروءة»، ولكنهم جعلوا جماع ذلك كله العفة وشبهوها بالجيش الذي يحمي الحوزة فقالوا: «العفة جيش لا يهزم» وقد صدقوا فإن العفة حصن حصين وسد منيع يقي المرء السقوط فيما لا يحب أن يوصف به الكريم ورشحوا أمثالهم بأشعارهم فقالوا:

وَكُنْتُ أَعَزَّ عِزًّا مِنْ قَنُوْعٍ ... تَرَفَّعَ عَنْ مُطَالَبَةِ المَلُوْلِ

فَصِرْتُ أَذَلَّ مِنْ مَعْنًى دَقِيْقٍ ... بِهِ فَقْرٌ إِلى ذِهْنٍ جَلِيْلِ

وجاء في «عيون الأخبار»[٨٠]: «أنت أخو العز ما التحفت، القناعة» وقال سعد ابن أبي وقاص لابنه عمر: «يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإن لم تكن لك قناعة فليس يغنيك مال».

وقال بعضهم: «الغنى والفقر يجولان في طلب القناعة فإذا وجداها قطناها».

وقال بعض الحكماء «القناعة ثوب لا يَبلى وهي شعار الأنبياء» ومن توقيعات السفاح إلى الواقدي وقد كتب يذكر دينًا عليه ويستمنح فيك خصلتان: «سخاء وحياء، أما السخاء فهو الذي أطلق يدك فيما ملكت، وأما الحياء فهو الذي حملك على أن ذكرت بعض دينك دون كله، وقد أمرت لك بضعف ما كتبت فزد في بسط يدك فإن خزائن الله مفتوحة ويده بالخير مبسوطة».

---

[٨٠] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص ١٨٥.

www.mtenback.com

وقال بعض الحكماء لابنه: «يا بني العبد حرٌ إذا قنع والحر عبد إذا طمع».

وقيل «القانع بما قسم الله في حدائق النعيم»

ويقال: «أخفض الخفض رضا المرء بحظه».

وقال بعضهم: «من لم يقنع بالقليل لم يكتف بالكثير».

ومن فصول ابن المعتز «أعرف الناس بالله من رضي بما قسم الله له وقال غيره من قنع بماله استراح وأراح».

القناعة من العفة:

القناعة هي رضا الإنسان بما كتب له واطمئنانه إلى عدالة القسمة التي حصل عليها في الحياة، وهي خليقة تجمع شتى الفضائل ففيها يقف اللسان عن أعراض الناس، ويتجاوز عن أخطائهم، ويصون لسانه عن المعايب والنقص، ويجاهد رغباته بكبحها عن الجموح في مزالق الطمع والغرور فيما جمع، وإذا تحقق الرضا والقبول صارت النفس هادئة مطمئنة فتخلو عندئذ من المنافسة غير الشريفة، وتتخلص من جهد الحرص والمغالبة على حطام الدنيا من أشياء مادية تافهة قد لا تنفع ولا تصل إلى الإنسان لشدة حرصه ومغالبته.

ولا نعني أن القناعة الاستكانة عن العمل وطلب الفضل من وجوهه، فالواجب هو السعي الجاد في بناء شخصية الإنسان في كل ما يغنيها عن الناس والقناعة بسعيها عن انتظار فضل غيرها عليها وقد صور الشاعر في هذين البيتين أهمية القناعة حين قال[٨١]:

هِيَ الْقَنَاعَةُ فَالْزَمْهَا تَعِشْ مَلِكًا ... لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ إِلاَّ رَاحَةُ الْبَدَنِ

وَانْظُرْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا ... هَلْ رَاحَ مِنْهَا بِغَيْرِ الْقُطْنِ وَالْكَفَنِ

---

[٨١] الهاشمي، السيد أحمد: جواهر الأدب في الأبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج١، ص٤٥٢-٤٥٣.

www.mtenback.com

وأهم ما يجني القنوع في حياته هو استقلال شخصيته وارتفاع شأنه في أعين الناس الذين لا يحتاج إليهم ويقنع بعمله وكسبه لنفسه عما في أيديهم ووصف الشاعر العربي استقلاله إذا استغنى عن غيره بقوله:

قَنِعْتُ بِالْقُوتِ مِنْ زَمَانِي ... وَصُنْتُ نَفْسِي عَنِ الْهَوَان
خَوْفًا مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقُولُوا ... فَضْلُ فُلاَنٍ عَلَى فُلاَن
مَنْ كُنْتُ عَنْ مَالِهِ غَنِيًّا ... فَلاَ أُبَالِي إِذَا جَفَانِي
وَمَنْ رَآنِي بِعَيْنِ نَقْصٍ ... رَأَيْتُهُ بِالَّتِي رَآنِي
وَمَنْ رَآنِي بِعَيْنِ تَمٍّ ... رَأَيْتُهُ كَامِلَ الْمَعَانِي

وذكر آخر مقومات القناعة في نظره فقال[٨٢]:

إِذَا الْمَرْءُ عُوْفِيَ فِي جِسْمِهِ ... وَمَلَّكَهُ اللهُ قَلْبًا قَنُوْعَا
وَأَلْقَى الْمَطَامِعَ عَنْ نَفْسِهِ ... فَذَاكَ الغَنِيُّ وَلَوْ مَاتَ جُوْعَا

ويوضح آخر فضل القناعة فيقول[٨٣]:

وَلَقَدْ طَلَبْتُ رِضَا الْبَرِيَّةِ جَاهِدًا ... فَإِذَا رِضَاهُمْ غَايَةٌ لاَ تُدْرَكُ
وَأَرَى الْقَنَاعَةَ لِلْفَتَى كَنْزًا لَهُ ... وَالْبِرُّ أَفْضَلُ مَا بِهِ يُتَمَسَّكُ

ويقول آخر في هذا المعنى مبينًا أثر غنى النفس والبعد عن الطمع[٨٤]:

إِنَّ القَنُوْعَ نَفِيْسُ النَّفْسِ رَاشِدُهَا ... وَهْوَ الغَنِيُّ الَّذِيْ يَحْيَا بِلاَ نَصَبِ
وَذُو الْمَطَامِعِ مَغْرُوْرٌ وَمُفْتَقِرٌ ... وَلَوْ حَوَى مُلْكَ سُلْطَانٍ وَعِلْمَ نَبِي

---

[٨٢] السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ص٤٥٣.

[٨٣] المصدر السابق نفسه.

[٨٤] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

كل ذلك في الحث على القناعة لما لها من قيمة مؤثرة في سلوك الناس وقد تكرر الحديث عن أهمية التزام القناعة شعرًا ونثرًا، وأكدت تعاليم الإسلام ذلك، وأفاضت مأثورات العرب في الحديث عن أهمية التربية التي تعيد النفوس إلى القناعة وتدفعها إلى التعفف وتشجعها على زيادة الحصانة من أطماع الدنيا إذا لم تكن من عمل حلال مباح كسبه، وقال رسول الله ﷺ: «من يتقبل لي بواحدة وأتقبل له الجنة، فقال ثوبان: أنا يا رسول الله، قال: لا تسأل الناس شيئًا قال: فكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب، فلا يقول لأحدٍ: ناولنيه. حتى ينزل فيأخذه»[٨٥]، فجزاء العفاف عن المسألة كان الجنة لما يجد المتعفف من مشقة في صدّ نفسه ومجاهدة طبعه، ومقاومة ضعفه.

وقال عمر رضي الله عنه: «ليس من عبد إلا وبينه وبين رزقه حجاب فإن اقتصد أتاه رزقه وإن اقتحم هتك الحجاب و لم يزد في رزقه». وقال ﷺ: «بئس العبدُ عبدٌ طمعٌ يقوده»[٨٦]. فمطامع الدنيا صخرة صماء لا يثبت عليها قدم، ولا يقرُّ عليها لأحد قرار.

وأصدق ما قيل في هذا المعنى بيت أبي ذؤيب الهذلي حين صور النفس البشرية وطبيعتها في الرغبة والرادع لها وكيف التعامل معها فقال[٨٧]:

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا ... وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

وقد جسم العرب الصورة المجردة حين وصفوا إذلال الطمع وشجاعة القناعة فقالوا: «وأنت أخو العز ما التحفت القناعة».

وقالوا: «اليأس حر والرجاء عبد». وهو أصدق مثل سمع في معناه فالذي يرجو الدنيا من غير الله ومن غير جهده وكدحه يذلُّ نفسه في حياته لأنه ينتظر أن يجود عليه

---

[٨٥] سنن ابن ماجة، كتاب الزكاة، باب ٢٥، حديث رقم: ١٨٣٧.

[٨٦] رواه الترمذي في الجامع، كتاب القيامة، باب ١٧، حديث رقم ٢٤٤٨.

[٨٧] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص٢٠٧.

www.mtenback.com

من عنده المال أو غيره وقد يموت وهو في ذلة الطمع والانتظار ممن يبطئ جوده. وقد فسر معنى قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[٨٨] بأنه حياة طيبة بالقناعة، وأوصوا أبناءهم بها فقالوا: يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة فإن لم تكن لك قناعة فليس يغنيك مال.

وقال عروة بن أذينة في غنى النفس والحصول على الرزق المكتوب مهما حصل للإنسان[٨٩]:

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الإِسْرَافُ فِي طَمَعٍ ... أَنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي

لاَ خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي إِلى طَبَعٍ ... وَعِفَّةٍ مِنْ قَوَامِ الْعَيْنِ تَكْفِينِي

كَمْ مِنْ فَقِيرٍ غِنِيِّ النَّفْسِ تَعْرِفُهُ ... وَمِنْ غَنِيٍّ فَقِيرِ النَّفْسِ مِسْكِينِ

وقال في هذا المعنى أبو العتاهية داعيًا إلى القناعة بما عند الإنسان[٩٠]:

إِنْ كَانَ لاَ يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَا ... فَكُلُّ مَا فِي الأَرْضِ لاَ يُغْنِيكَا

والقناعة سبب في قوة الاعتماد على الله والتوكل الذي يقوي عزيمة المرء ويعلي من شأنه، ولن يستطيع أحد جمع الدنيا ولا يستطيع أحد منعها وما بين الجمع والمنع هو فضيلة القناعة وقد جعل الشعر العربي النفس مسؤولة عن الطمع أو القناعة، ومن لم يقنع فقد خف اعتماده على الله وإذا صدق إيمانه بعدالة خالقه لم يحتج إلى أحد كما جاء في هذا البيت[٩١]:

---

[٨٨] سورة النحل: ٩٧.

[٨٩] الفارسي، أبو القاسم، زيد بن علي: الحماسة، ص٣٠٨، ص٥٦٠، ديوان عروة، ص١١٦؛ وردت هذه الأبيات أيضًا في الأغاني، ٢١/١٠٥، وأمالي المرتضى، ١/ ٤٠٨.

[٩٠] أبو العتاهية، ديوان أبي العتاهية، ص٣٢٩.

[٩١] الفارسي، أبو القاسم زيد بن علي: الحماسة ص٣٠٦.

www.mtenback.com

مَـنْ لَـمْ يَكُـنْ للهِ مُتَّهِمًـا ... لَـمْ يُمْـسِ مُحتَاجًـا إِلى أَحَـد

ومما يروى لأبي العتاهية مؤكدًا أن الرزق من الله إذا صان الإنسان نفسه وعف عمَّا عند الناس وقنع بما عنده[٩٢]:

إِنِّـي قَنِعْـتُ بِقُـوْتٍ لاَ أُجَـاوِزُهُ ... وَصَوْنِ وَجْهِي عَنْ لاَ لاَ وَعَنْ نَعَـمِ

وَلَسْتُ أَذْخُرُ فَضْلَ الْقُوْتِ عَنْ أَحَـدٍ ... فِيْ كُلِّ يَـوْمٍ يَجِـيءُ اللهُ بِـالطُّعَمِ

ولعبد الله بن المبارك في القناعة وغنى النفس، وقيل إنها لغيره هذه الأبيات[٩٣]:

وَمِـنَ الْبَـلاَءِ وَلِلْبَـلاَءِ عَلاَقَـةٌ ... أَلاَّ يُرَى لَكَ عَـنْ هَـوَاكَ نُـزُوعُ

الْعَبْدُ عَبْدُ النَّفْـسِ فِـيْ شَـهَوَاتِهَا ... وَالْحُـرُّ يَشْـبَعُ مَـرَّةً وَيَجُـوعُ

وقال في هذا المعنى النمر بن تولب داعيًا إلى اللجوء إلى الله في كل حال[٩٤]:

وَمَتَى تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَارْجِ الغِنَـى ... وَإِلى الَّذِيْ يَهَبُ الرَّغَـائِبَ فَـارْغَبِ

لاَ تَغْضَبَنَّ عَلَى امْـرِئٍ فِـيْ مَالِـهِ ... وَعَلَى كَرَائِمِ صُلْبِ مَالِكَ فَـاغْضَبِ

وقال أبو الأسود أيضًا في عدم الطمع فيما بأيدي الناس حتى ولو كان أقـرب قريب[٩٥]:

وَلاَ تَطْمَعَنْ فِي مَـالِ جَـارٍ لِقُرْبِـهِ ... وَكُـلُّ قَرِيْـبٍ لاَ يُنَـالُ بَعِيْـدُ

وقال ابن عنين في القناعة بما يرزق به الإنسان[٩٦]:

---

[٩٢] أبو العتاهية: ديوان، ص٣٢٩.

[٩٣] الفارسي: الحماسة، ص٣٠٦.

[٩٤] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص١٨٦.

[٩٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص٧٩.

[٩٦] الصفدي، الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك: الغيث المنسجم في شرح لامية العرب، م٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٣٩٨.

www.mtenback.com

الرِّزْقُ يَأْتِي وَإِنْ لَمْ يَسْعَ صَاحِبُهُ ... حَتْمًا وَلَكِنْ شَقَاءُ الْمَرْءِ مَكْتُوبُ
وَفِي الْقَنَاعَةِ كَنْزٌ لاَ نَفَادَ لَهُ ... وَكُلُّ مَا يَمْلِكُ الإِنْسَانُ مَسْلُوبُ

وفي هذا المعنى قال أبو إسحق الغزي داعيًا إلى القناعة بما رزق الإنسان وإن كان هذا الرزق قليلاً[٩٧]:

يَاطَالِبَ الرِّزْقِ فِي الدُّنْيَا بِحِيلَتِهِ ... إِنَّ الْقَنَاعَةَ أَضْحَتْ حِلْيَةَ الْحِيَلِ
لاَ تَحْقِرَنَّ طَفِيْفَ الرِّزْقِ وَارْضَ بِهِ ... مَا الفَمْرُ مُجْتَمِعٌ إِلاَّ مِنَ الْوَشَلِ

وقال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا في سربه معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»[٩٨].

وقال الشريف أبو الحسن العقيلي[٩٩]:

وَقَائِلٍ: مَا الْمُلْكُ؟ قُلْتُ: الْغِنَى ... فَقَالَ: لاَ بَلْ رَاحَةُ الْقَلْبِ
وَصَوْنُ مَاءِ الْوَجْهِ عَنْ بَذْلِهِ ... فِي نَيْلِ مَا يَنْفَدُ عَنْ قُرْبِ

وفي معنى بيت آخر جاء قول الشاعر[١٠٠]:

مُلْكُ الْقَنَاعَةِ لاَ يُخْشَى عَلَيْهِ وَلاَ ... يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الأَنْصَارِ وَالْخَوَلِ

لم يطلب العرب القناعة والعفة قولاً مجردًا دون عمل يبعث الهمم ويحقق الرغائب، ولو فعلوا ذلك لكانوا مخطئين لا يصدقهم أحد ولا يأخذ برأيهم من له نظر في الأمور، لكن العرب جمعوا مع طلب القناعة والعفة عما في أيدي الآخرين العمل الجاد والمحاولة تلو المحاولة للكسب، والبحث في كل سبيل عن الفضل الذي يحصل عليه

---

[٩٧] الصفدي: الغيث المنسجم، ص٣٩٩.

[٩٨] أخرجه الترمذي في الجامع، كتاب الزهد، باب ١٣٤، حديث رقم ٢٣٤٦.

[٩٩] أبو القاسم، زيد بن علي الفارسي، الغيث المنسجم، ص٤٠٥.

[١٠٠] المصدر السابق، ص٣٩٥.

www.mtenback.com

الإنسان الجاد في سعيه وعمله وأفرغوا تجاربهم ليستفيد منها من يريد الاستفادة من خلاصة التجارب وهذان البيتان يبينان رأي العرب في الكسب والعفاف وتكرار المحاولة[١٠١]:

وَإِنَّ قَرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْؤُهُ ... وَيَكْفِيكَ سَوْءَاتِ الأُمُورِ اجْتِنَابُهَا

إِذَا سُدَّ بَابٌ عَنْكَ مِنْ دُونَ حَاجَةٍ ... فَذَرْهَا لأُخْرَى لَيِّنٌ لَكَ بَابُهَا

وجمع الأثر المعروف كل هذه بجملة قصيرة هي: «ماقل وكفى خيرٌ مما كثر وألهى» وقالوا أيضًا: «القناعة مال لا ينفد، وما عال من اقتصد» فجمعوا بين القناعة وحسن التدبير وهو ما يأمر به الخلق القويم، يعيش الناس التجربة في حياتهم فيحمدونها ويوصون بها وأهم التجارب حسن التدبير من حسن التدبير حسن الاقتصاد في النفقة.

ويقال: أبلغ شيء جاء في القناعة قول علي رضي الله عنه: «لا تحمل قوت غدك الذي لم يأت على يومك الذي قد أتى، فإنه إن يكن من أيام حياتك جاءك وفيه رزقك، واعلم أنك لم تدخر أكثر من قوت يومك إلا كنت خازنًا لغيرك»[١٠٢].

ولعبد الله بن المبارك أبيات بيّن فيها فضل القناعة وكيف أنها خلق كريم وفيها يقول[١٠٣]:

لله دَرُّ الْقُنُوعِ مِنْ خُلُقٍ ... كَمْ مِنْ وَضِيعٍ بِهِ قَدْ ارْتَفَعَا

يَضِيقُ صَدْرُ الْفَتَى بِحَاجَتِهِ ... وَمَنْ تَأَسَّى بِدُونِهِ اتَّسَعَا

---

[١٠١] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، م٣، ص١٨٣.

[١٠٢] أبو القاسم علي الفارسي: شرح كتاب الحماسة، ص٣٠٢.

[١٠٣] المصدر السابق، ص٣٠١.

www.mtenback.com

وازن بعض الشعراء بين القناعة والثراء فغلبت في رأيه قناعته ثروة صاحبه فقال[١٠٤]:

لاَ أَرْتَضِي الْبَاخِلَ خِلاًّ وَإِنْ أَحَلَّهُ الإِيْسَارُ فِي ذِرْوَتِهْ
دَعْهُ يُكَاثِرْ بِالثَّرَاءِ الثَّرَى قَنَاعَتِي أَكْثَرُ مِنْ ثَرْوَتِهْ

ولا يمكن إحصاء ما جاء من الأقوال المأثورة عن العرب في بيان فضائل العفاف وأساسه القناعة ولكن هذه المقتطفات بيان لطبيعة الحياة وكيف يتعامل الإنسان معها في صور شتى تجد القنوع العفيف، وتجد الطامع، ولكلاهما فلسفة فيما يعمل، والمقياس في نهاية المطاف الاحتكام إلى التجربة السليمة.

تبدو رؤية الناس متباينة في كثرة الأموال وعند الممارسة تختلف القناعات فتجد من يعتمد على النظر المجرد، ومن يعتمد على التطبيق، ولا يكون بين النوعين خلاف في فضائل الأعمال إذا كان الحديث عنها مجردًا، ولأن الشعراء هم ضمير الأمة والمعبرون – في الغالب – عن الجانب النظري من الثقافة فإنهم يكررون في أشعارهم الفضائل في كل شيء، والناس يسعدون بشعرهم ويتغنون بمعانيهم الخالدة حتى وإن اختلف السلوك عند التطبيق، وقد يحسن أن نورد بعض الأبيات لعدد من الشعراء غير ما سبق كلها تدفع خلق العفاف إلى أعلى المستويات في السلوك الاجتماعي ومن ذلك قول لبيد[١٠٥]:

فَاقْنَعْ بِمَا قَسَمَ الْمَلِيْكُ فَإِنَّمَا قَسَمَ الْمَعَايِشَ بَيْنَنَا عَلاَّمُهَا

ولأبي العتاهية مثله[١٠٦]:

حَوَّلْتِ يَا دُنْيَا جَمَالَ شَبِيْبَتِي قُبْحًا فَمَاتَ لِذَاكَ نُوْرُ جَمَالِي

---

(١٠٤) أبو عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي الأندلسي، ديوان ابن الأبار، الدار التونسية للنشر، ص١٠٢.

(١٠٥) لبيد بن ربيعة العامري، ديوان لبيد، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص١٧٩

(١٠٦) أبو العتاهية، ديوان، ص٣٢٩-٣٣٠.

www.mtenback.com

غَرَسَ التَّخَلُّصَ مَنْكِ بَيْنَ جَوَانِحِي ... شَجَرُ القَنَاعَةِ وَالْقَنَاعَةُ مَالِي
إِنَّ الْقَنَاعَةَ بِالْكَفَافِ هِيَ الغِنَى ... وَالْفَقْرُ عَيْنُ الفَقْرِ فِيْ الأَمْوالِ
قَاتِلْ هَوَاكَ إِذَا دَعَاكَ لِفِتْنَةٍ ... قَاتِلْ هَوَاكَ هُنَاكَ كُلَّ قِتَالِ

وقال أيضًا في هذا المعنى[١٠٧]:

حَتَّى مَتَى يَسْتَفِزُّنِي الطَّمَعُ ... أَلَيْسَ لِيْ بِالْكَفَافِ مُتَّسَعُ
مَا أَفْضَلَ الصَّبْرَ وَالْقَنَاعَةَ لِلْنَا ... سِ جَمِيْعًا لَوَ انَّهُمْ قَنِعُوا

وقال أيضًا في الرضى بما قسم الله[١٠٨]:

اِصْبِرْ عَلَى نُوَبِ الزَّمَا ... نِ وَرَيْبِهِ وَتَقَلُّبِهْ
لاَ تَجْزَعَنَّ فَمَنْ تَعَتَّـ ... ـبَ دَامَ وَصْلُ تَعَتُّبِهْ
شَرَفُ الْفَتَى طَلَبُ الْكَفَا ... فِ بِعِفَّةٍ فِيْ مَكْسَبِهْ
يَرْضَى بِقَسْمِ مَلِيكِهِ ... مُتَجَمِّلاً فِيْ مَطْلَبِهْ

فالغنى عما في أيدي الناس والصبر على الفقر والرضا بما قسم الله هي القناعة والعفة وهي اللغة المقبولة المجردة.

وكتب الشريف الرضي إلى بعض أصدقائه في القناعة[١٠٩]:

مُقِيْمٌ مِنَ الْهَمِّ لاَ يُقْلِعُ ... وَمَاضٍ مِنْ الْعَيْشِ لاَ يَرْجِعُ
وَيَوْمٌ أَشَمُّ بِإِقْبَالِهِ ... وَيَوْمٌ بِإِدْبَارِهِ أَجْدَعُ

---

[١٠٧] أبو العتاهية، ديوانه، ص ٢٦٧.

[١٠٨] أبو العتاهية، ديوانه، ص ٦٤.

[١٠٩] الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد: ديوانه،دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج١، ص٦٧١.

www.mtenback.com

لأَخْفَـقَ مَـنْ عَلَقَـتْ بِـالْمُنَى يَـدَاهُ وَأَثْـرَى الَّـذِي يَقْنَـعُ

وفي القناعة قال أبو فراس الحمداني[١١٠]:

غَـيْرِي يُغَـيِّرُهُ الفِعَـالُ الْجَـافِي وَيَحُولُ عَنْ شِيَمِ الْكَرِيْـمِ الْوَافِـي
لاَ أَرْتَضِي وُدًّا إِذَا هُـوَ لَـمْ يَـدُمْ عِنْـدَ الجَفَـاءِ وَقِلَّـةِ الإِنْصَـافِ
تَعِسَ الْحَرِيْصُ وَقَلَّ مَـا يَـأْتِي بِـهِ عِوَضًا مِـنَ الإِلْحَـاحِ وَالإِلْحَـافِ
إِنَّ الغَنِـيَّ هُـوَ الغَنِـيُّ بِنَفْسِـهِ وَلَو انَّهُ عَـارِيْ الْمَنَـاكِبِ حَـافِ
مَا كُلُّ مَا فَـوْقُ الْبَسِـيطَةِ كَافِيًـا فَإِذَا قَنَعـتَ فَكُـلُّ شَـيءٍ كَـافِ
وَتَعَافُ لِي طَمَعَ الْحَرِيْـصِ أُبُوَّتِـي وَمُرُوْءَتِـي وَقَنَـاعَتِي وَعَفَـافِي

لقد حاول العرب معالجة آرائهم بعقلانية وروية، وبرروا ما أرادوا بفصيح الشعر وبليغ النثر، فقد عرض ابن نباته في بيت واحد فلسفته في الغنى، وفهمه إياه، فقال[١١١]:

وَإِنَّ الْمَـرْءَ مَـا اسْـتَغْنَى غَنِـيٌّ وَحَاجَتُـهُ إِلَـى الشَّـيْءِ افْتِقَـادُهْ

وسُئل أحد الحكماء: «أي الناس أقلُّ همًّا؟ فقال ليس في الدنيا إلا مهموم ولكن أقلهم همًا أفضلهم رضًا وأقنعهم بما قُسم».

سئل بعضهم: «من أنعم الناس عيشًا ؟ فقال: من رضي بما له»

وقيل: «من رضي بما قسم له كان دهره مسرورًا».

وقال النقاد[١١٢]:

---

[١١٠] أبو فراس الحمداني، ديوان، ص١٩١.

[١١١] ابن نباتة الشيخ جمال الدين بن نباتة المصري الفاروقي: ديوانه، دار إحياء التراث العربي، ص٥٤٥.

[١١٢] الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ص٢٠١.

www.mtenback.com

دُنْيَا تُخَادِعُنِي لَسْتُ أَعْرِفُ حَالَهَا
حَظَرَ الْإِلَهُ حَرَامَهَا وَأَنَا احْتَمَيْتُ حَلَالَهَا
وَوَجَدْتُهَا مُحْتَاجَةً فَوَهَبْتُ لَذَّتَهَا لَهَا

وجاء في «شرح الحماسة» قول العطوي في القناعة[113]:

إِنَّ الْقَنَاعَةَ مَنْ يَحُلْ بِسَاحَتِهَا لَمْ يَلْقَ فِي دَهْرِهِ هَمًّا يُؤَرِّقُهُ

وقال الأضبط بن قريع[114]:

اقْنَعْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفَعَهْ
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ وَيَأْكُلُ الْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ

وهكذا يذهب المال للوارث عفواً صفواً ممن كان له جموعًا منوعًا فلا سعد فيه في حياته ولا اكتسب الذكر الجميل بعد مماته خاصة إن كان الوارث عاقًّا أو سفيهًا.

وقال الحطيئة في الغنى[115]:

يَقُولُونَ يَسْتَغْنِي وَوَاللهِ مَا الغِنَى مِنَ الْمَالِ إِلاَّ مَا يَكُفُّ وَمَا يَكْفِي

وقال محمود الوراق في القناعة أيضًا[116]:

إِنَّ الْقَنَاعَةَ مَا عَلِمْتَ غِنًى وَالْحِرْصُ يُورِثُ ذَا الغِنَى فَقْرا

وقال أيضًا[117]:

---

(113) الفارسي، شرح كتاب الحماسة، ص٣٠٩.

(114) المصدر السابق نفسه.

(115) ديوان الحطيئة، ص٣٢٠.

(116) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج١، ص٨٣-٨٥.

(117) أبو القاسم زيد بن علي الفارسي: شرح كتاب الحماسة، ص٣١١.

www.mtenback.com

غِنَى النَّفْسِ يُغْنِيهَا إِذَا كُنْتَ قَانِعًا ... وَلَيْسَ بِمُغْنِيكَ الْكَثِيْرُ مِنَ الْحِرْصِ
وَإِنَّ اعْتِقَادَ الْهَمِّ لِلْمَرْءِ جَامِعٌ ... وَقِلَّةُ هَمِّ الْمَرْءِ يَدْعُو إِلَى النَّغْصِ

وجاء في يتيمة الدهر[118] قول أبي سهل بكر بن عبد العزيز النيلي في القناعة:

قَدْ رُضْتُ بِاليَأْسِ نَفْسِي ... فَعَلَّلُ اللُّبِّ الحَكِيْمِ
قَنَّعْتُهَا بِكَفَافٍ ... وَفِيْهِ كُلُّ النَّعِيْمِ
فَمَا يَدٌ لِكَرِيْمٍ ... عِنْدِيْ وَلاَ لِلَئِيْمِ
وَلِلْقَنَاعَةِ رَوْحٌ ... يَا طِيْبَةٌ مِنْ نَسِيْمِ

فمن رضي بما قسم له طابت معيشته ومن قنع بما هو فيه قرت عينه.

وقال الضحاك: «خصلة من وفق لها وفق لحظه من نظر في دنياه إلى من هو دونه فاستكثر قليل ماله».

ويربط الشافعي العفة بالحذر من الحب الجم للمال والترفع عن الدنايا والاستجداء بقول في ذلك[119]:

رَأَيْتُ القَنَاعَةَ رَأْسَ الغِنَى ... فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَا مُمْتَسِكْ
فَلا ذَا يَرَانِي عَلَى بَابِهِ ... وَلاَ ذَا يَرَانِي بِهِ مُنْهَمِكْ
فَصِرْتُ غَنِيًّا بِلا دِرْهَمٍ ... أَمُرُّ عَلَى النَّاسِ شِبْهَ المَلِكْ

ولكن المال صنو النفس ولا تمنع أخلاق العرب من طلبه وكسبه بل إنها تحث على الكسب والسعي للغنى ويفخر من يجمع الثروة منهم، أما ما يدعون إليه فهو العفاف عند الحاجة والترفع عن الطمع الذي ينال من كرامة العربي ومروءته.

---

[118] الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج١، ص٤٢١.

[119] الشافعي، ديوانه، ص١٤٢.

www.mtenback.com

فإذا سلمت أسباب اكتساب المال من المهانة والضعة جاز أن يسلك كل سبيل إلى تحصيل المال وجمعه، وقد وصف أبو العتاهية معاناة الرحلة في سبيل المال بقوله[١٢٠]:

حَتَّى مَتَى أَنَا فِـــي حِـــلٍّ وَتَرْحَـــالٍ ... وَطُـــولِ سَـــعْيٍ بِإِدْبَـــارٍ وَإِقْبَـــالِ

أُنَازِعُ الدَّهْـــرَ مَـــا أَنْفَـــكُّ مُغْتَرِبًـــا ... عَنِ الأَحِبَّةِ لا يَـــدْرُونَ مَـــا مَـــالِي

فِي مَشْرِقِ الأَرْضِ طَوْرًا ثُمَّ مَغْرِبِهَـــا ... لا يَخْطُرُ المَوْتُ مِنْ حِرْصٍ عَلَى بَـــالِي

وَلَوْ قَنِعْتُ أَتَانِي الرِّزْقُ فِـــي مَهَـــلٍ ... إِنَّ القُنُوعَ الغِنَـــى لا كَـــثْرَةُ المَـــالِ

غض البصر من العفة:

البصر نعمة من نعم الله العظمى التي أنعم بها على الإنسان لكي يشكرها ويتمتع بها في شؤون حياته ويستعين بها على أمور دينه ودنياه، ولا يعرف قدر هذه النعمـــة حق المعرفة إلا من ابتلي بذهاب بصره.

والبصر أداة خير إذا استُعمل فيما شرع له النظر إليه والتفكير فيه، قال تعـــالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[١٢١] وقد يكون وسيلة شر على صاحبـــه إذا استعمله في المحرمات، والنظر إلى العورات، وفضول زينة الحياة الدنيا نظرة إعجـــاب: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[١٢٢] لذا أمر الله المؤمنين بالغض من أبصارهم فقال تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ

---

[١٢٠] أبو العتاهية، ديوان، ص٦٢٨.

[١٢١] سورة يونس: ١٠١.

[١٢٢] سورة طه: ١٣١.

www.mtenback.com

لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[١٢٣] فأمر المؤمنين بما يمنعهم من الوقوع فيما يخل بالإيمان، وهو غض الأبصار عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبيات، ولما كان إطلاق النظر وسيلة إلى الوقوع في الزنا أمر الله بحفظ الفروج بعد الأمر بغض الأبصار، فإن من غض بصره، وحفظ فرجه طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله بسبب ترك المحرم الذي تطمع فيه النفس الأمارة بالسوء وتدعو إليه، فمن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه ومن غض بصره أنار الله بصيرته.

ولما أمر المؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم أمر المؤمنات بذلك وألا يُظهرن ما يدعو إلى الافتتان بهن من الزينة، وعلى المرأة أن تغض طرفها عن الرجال، فقد دخل ابن أم مكتوم الأعمى على النبي ﷺ وعنده امرأتان من نسائه فأمرهما بالاحتجاب منه فقالتا: يا رسول الله، أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال ﷺ: «أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه»[١٢٤].

فإذا وجب الاحتجاب عن الأعمى فكيف بغيره، والنظرة هي بمنزلة الشرارة من النار تسري في الحشيش اليابس، فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه، ومنزلة السهم من الرمية كما قيل[١٢٥]:

كُلُّ الْحَوادِثِ مَبْداها مِنَ النَّظَرِ ... وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

كَمْ نَظْرَةٍ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا ... فَتْكَ السِّهَامِ بِلاَ قَوْسٍ وَلاَ وَتَرِ

يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ ... لاَ مَرْحَبًا بِسُرُوْرٍ عَادَ بِالضَّرَرِ

---

[١٢٣] سورة النور: ٣٠-٣١.

[١٢٤] أخرجه الترمذي في الجامع، كتاب الأدب، باب ٢٩، حديث ٢٨٧٨.

[١٢٥] عبد الله بن بحار الله، بهجة الناظرين فيما يصلح الدنيا والدين، ص٣٨٧.

www.mtenback.com

وجاء في «عيون الأخبار»[١٢٦]: مرت امرأة بقوم من بني نمير فأداموا النظر إليها فقالت: يا بني نمير والله ما أخذتم بواحدة من اثنتين: - لا بقول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[١٢٧] ولا بقول جرير[١١٨]:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلاَ كَعْبًا بَلَغْتَ وَلاَ كِلاَبَا

ومحاربة الفتنة بسبب النظر ضرورة أوضحها رسول الله ﷺ حين قال «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[١٢٩].

وفي خطبة لعبد الله بن طاهر لجنوده: «... غضوا أبصاركم، أخفتوا أصواتكم في مصافكم»[١٣٠].

وجاء في «التبصرة»[١٣١]: «احذروا نظرة تفسد القلوب وتجني عليكم الذم والعيوب تسخط مولاكم علام الغيوب.. يا عجبًا للمشغولين بأوطارهم عن ذكر

---

[١٢٦] ابن قتيبة، عيون الاخبار، ص٣٤٠.

[١٢٧] سورة النور: ٣٠.

[١٢٨] جرير: ديوانه، تحقيق نعمان محمد أمين طه، دار المعارف بمصر، ص٨٢١.

[١٢٩] صحيح مسلم، كتاب الزهد، حديث رقم ١٠٣١ / ص٧١٥.

[١٣٠] أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة العهد العباسي الأول، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، ج٣، ص١٤٥.

[١٣١] الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي: التبصرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص١٦٧.

www.mtenback.com

أخطارهم لو تفكروا في حال صفائهم في أكدارهم لما سلكوا طريق اغترارهم أما يكفي في وعظهم وادكارهم» ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[١٣٢].

ويورد المؤلف بعض الأشعار دون ذكر اسم أصحابها مبينًا أن النظر هو السبب فيما يحصل للإنسان من مصائب فيما بعد، ومنها قول الشاعر[١٣٣]:

وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا ... فِي أَعْيُنِ النَّاسِ مَوْقُوفٌ عَلَى الخَطَرِ

يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ ... لاَ مَرْحَبًا بِسُرُورٍ جَاءَ بِالضَّرَرِ

فالنظرة سهم مسموم من سهام الشيطان، والاحتراز من النظر خوف الفتنة والعقوبة من الله واجب على الإنسان.

كما أورد قول الشاعر[١٣٤]:

عَاتَبْتُ قَلْبِي لَمَّا ... رَأَيْتُ جِسْمِي نَحِيلا

أَجَابَ قَلْبِي طَرْفِي ... وَقَالَ كُنْتَ الرَّسُولا

فَأَلْزَمَ القَلْبَ طَرْفِي ... بَل كُنْتَ أَنْتَ الدَّلِيلا

فَقُلْتُ كُفَّا جَمِيعًا ... تَرَكْتُمَانِي قَتِيلا

روى ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يتشلشل دمًا فقال له: مالك؟ فقال: مرت بي امرأة فنظرت إليها فلم أزل أتبعها بصري فاستقبلني جدار فضربني فصنع بي ما ترى. فقال: «إن الله إذا أراد بعبد خيرًا عجل له عقوبته في الدنيا». وأكمل حديثه قائلاً روى أبو هريرة ــ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله.

---

[١٣٢] سورة النور: ٣٠.

[١٣٣] البغدادي: التبصرة، ص١٦٣.

[١٣٤] البغدادي: التبصرة، ص١٦٢.

www.mtenback.com

ولوجوب العفاف منع الناس من الجلوس في الطرقات إلا إذا أدوا حقها: «إياكم والجلوس على الطرقات، قالوا مالنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها قال: فإذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقها، قالوا وما حق الطريق قال: غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١٣٥].

وأورد قول إبراهيم بن صول[١٣٦]:

وَمَنْ كَانَ يُؤْتَى مِنْ عَدُوٍ وَحَاسِدٍ ... فَإِنِّي مِنْ عَيْنِي أُتِيتُ وَمِنْ قَلْبِي

هُمَا اعْتَوَرَانِي نَظْرَةً بَعْدَ نَظْرَةٍ ... فَمَا أَبْقَيَا لِيْ مِنْ رقَادٍ وَلا لُبِّ

العفة في العشق:

جاء في الحديث: «كان يأمرنا ﷺ بالصلاة والصدق والعفاف والصلة»[١٣٧] وأخذه الشافعي فقال[١٣٨]:

عِفُّوا تَعِفُّ نِسَاؤُكُمْ فِي المَحْرَمِ ... وَتَجَنَّبُوا مَا لا يَلِيقُ بِمُسْلِمِ

وهو ينفذ من خلال العفة بثاقب نظره إلى حرمة النساء وحصانتهن.

وقد كانت العفة عاملاً من العوامل التى سمت بالحب وبالعلاقة بين الرجل والمرأة خوفًا من الله سبحانه وتعالى ومن عقابه قال بعضهم[١٣٩]: رأيت امرأة مستقبلة البيت في غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو، فقلت لها: هل من حاجة؟ فقالت: حاجتي أن تنادي في الموقف بقولي:

---

[١٣٥] صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، ١١٣، ١١٤. الحديث رقم ٢١٢١، ص١٦٧٥.

[١٣٦] جمال الدين البغدادي: التبصرة، ج١، ص١٦٢.

[١٣٧] أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٧.

[١٣٨] الشافعي ديوانه، ص١٥٦.

[١٣٩] الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، ص٤٢.

www.mtenback.com

تَــزَوَّدَ كُــلُّ النَّــاسِ زَادًا يَقِيْهِــمُ وَمَالِي زَادٌ وَالسَّــلاَمُ عَلَــى نَفْسِــي

فناديت كما أمرتني، فإذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل إليَّ، فقــال: أنــا الــزاد، فمضيت به إليها. فما زادا على النظر والبكاء، ثم قالت له: انصرف بسلام، فقلت: ما علمت أن لقاءكما يقتصر على هذا، فقالت: أمسك يا هذا، أما علمت أن ركــوب العار ودخول النار شديد.؟!

وقال إبراهيم بن محمد المهلبي في هذا المعنى[١٤٠]:

كَمْ قَدْ ظَفِرْتُ بِمَنْ أَهْوَى فَيَمْنَعُنِــي مِنْهُ الْحَيَــاءُ وَخَــوْفُ اللهِ وَالْحَــذَرُ
وَكَمْ خَلَوْتُ بِمَنْ أَهْــوَى فَيُقْنِعُنِــي مِنْهُ الْفُكَاهَــةُ وَالتَّــأْنِيْسُ وَالنَّظَــرُ
أَهْوَى الْمِلاَحَ وَأَهْوَى أَنْ أُجَالِسَــهُمْ لاَ خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِــنْ بَعْدِهَــا سَــقَرُ

وقال بعض بني كلب:

إِنْ أَكُــنْ طَــامِحَ اللَّحَــاظِ فَــإِنِّي لِلَّــذِي يَمْلِــكُ الْفُــؤَادَ عَفِيْــفُ

وأنشد المبرد هذه الأبيات[١٤١]:

مَــا إِنْ دَعَــانِي الْهَــوَى لِفَاحِشَــةٍ إِلاَّ نَهَــانِي الْحَيَــاءُ وَالْكَــرَمُ
فَــلاَ إِلَى فَــاحِشٍ مَــدَدْتُ يَــدِيْ وَلاَ مَشَــتْ بِــي لِزَلَّــةٍ قَــدَمُ

وعن العفة في الحب يتحدث جميل بثينة مبينًا ما يكفيه من محبوبته[١٤٢]:

وَإِنِّي لأَرْضَــى مِــنْ بُثَيْنَــةَ بِــالَّذِي لَوَ ابْصَرَهُ الْوَاشِــي لَقَــرَّتْ بَلاَبِلُــه
بِــلا وَبِــأَنْ لاَ أَسْــتَطِيْعُ وَبِــالْمُنَى وَبِالأَمَلِ الْمَرْجُوِّ قَــدْ خَــابَ آمِلُــه

(١٤٠) أبو القاسم زيد علي الفارس، شرح كتاب الحماسة، ص٣٠٢.

(١٤١) الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف ص١٩٩.

(١٤٢) جميل بثينة، ديوان ص١١.

www.mtenback.com

وَبِالنَّظْرَةِ العَجْلَى وَبِالْحَوْلِ تَنْقَضِـــيْ أَوَاخِـرُهُ لاَ نَلْتَقِـــــي وَأَوَائِلُـــه

ولهذه الأبيات قصة أوردها صاحب «قصص العرب»[١٤٣] تظهر عفـــة جميـــل وبثينة في الحب، تقول القصة:

«سَعَت أمةٌ لبثينة بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما: إن جميلاً عندهـــا الليلـــة، فأتياها مشتملين على سيفين فرأياه جالسًا بجرة منها يحدثها، ويشكو إليها بثه، ثم قـــال لها: يا بثينة أرأيت ودي وإياك وشغفي بك ألا تجزينيه؟ قالت: بماذا؟ قال: بما يكون بين المتحابين، فقالت له: يا جميل، أهذا تبغي؟ والله لقد كنت عندي بعيدًا منـــه، ولئـــن عاودتَ تعريضًا بريبة لا رأيت وجهي أبدًا.

فضحك وقال: والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه، ولو علمت أنك تجبيني إليه لعلمت أنك تحبين غيري، ولو رأيت منك مساعدة عليه لضربتك بســـيفي هذا ما استمسك في يدي، ولو أطاعتني نفسي لهجرتك هجرة الأبد أو ما سمعت قولي.

فقال أبوها لأخيها: قم بنا فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها فانصرفا وتركاها».

ومن العفة في الحب أيضًا ما قاله جميل في وصف محبوبته[١٤٤]:

قَطُوْفٌ أَلُـــوْفٌ لِلْحِجَـــالِ يَزِيْنُهَـــا مَعَ الدَّلِّ مِنْها جِسْـــمُهَا وَحَيَاؤُهَـــا

ومنه قوله أيضًا:

شِفَاءُ الْهَوَى أَمْثَالُهَا مُنْتَهَـــى الْمُنَـــى بِهَا يَقْتَدِي البِيضُ الكِرَامُ العَفَـــائِفُ

ويصور لنا كثير عزة كيفية لقائه بصاحبته، فيقول[١٤٥]:

---

[١٤٣] محمد أحمد جاد المولى: قصص العرب، ج٤، ص١٧١،

[١٤٤] جميل بثينة، ديوان، ص٢٠.

[١٤٥] ديوان كثير عزة، ص١٢٩.

www.mtenback.com

وَقَالَ خَلِيْلِي: مَـــا لَهَـــا إِذْ لَقِيْتَهَـــا غَدَاةَ الشَّبا فَيْهَـــا عَلَيْـــكَ وُجُـــوْمُ
فَقُلْـــتُ لَـــهُ: إِنَّ الْمَـــوَدَّةَ بَيْنَنَـــا عَلَى غَيْرِ فُحْـــشٍ وَالصَّفَـــاءُ قَدِيْـــمُ

ويقول[١٤٦]:

وَإِنِّـــي لَيَثْنِيْنِـــي الحَيَـــاءُ فَـــأَنْثَنِي وَأَقْعُدُ وَالْمَمْشَـــى إِلَيْـــكِ قَرِيْـــبُ

ويقول أيضًا متغنيًا بصاحبته[١٤٧]:

عُيُوْنًا جَلاَهَا الْكُحْلُ أَمَّـــا ضَمِيْرُهَـــا فَعَـــفٌّ وَأَمَّـــا طَرْفُهَـــا فَجَهُـــوْلُ

ويقول منوها بعفته[١٤٨]:

رُبَّ يَـــوْمٍ أَتَيْتُهُـــنَّ جَمِيْعًـــا عِنْـــدَ بَيْضَـــاءَ رَخْصَـــةٍ مِكْسَـــالِ
غَيْرَ أَنِّـــي امْـــرُؤٌ تَعَمَّمْـــتُ حِلْمًـــا يَكْـــرَهُ الْجَهْـــلَ وَالصِّبَـــا أَمْثَـــالِي

وقال غيره مبينًا خوفه من الله وهو مع محبوبته:

إِذَا مَا هَمَمْنَا صَدَّنَـــا وَازِعُ التُّقَـــى فَوَلَّى عَلَى أَعْقَابِـــهِ الْهَـــمُّ خَاسِـــئَا

وقال آخر في هذا المعنى[١٤٩]:

لاَ يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَـــالَتْ إِقَامَتُـــهُ عَفُّ الضَّمِيْرِ وَلَكِنْ فَاسِـــقُ النَّظَـــرِ

وقال الشاعر في العفة في الهوى:

لَـــوْ لا قَدِيـــمٌ مِـــنْ عَفَـــافِي تَـــالِدٌ وَطَرِيفُ شَيْبٍ قَـــدْ أَلَّـــم حَدِيـــثُ

---

[١٤٦] ديوان كثير عزة، ص١٦٥.

[١٤٧] كثير عزة، ديوان، ص٣٣٩.

[١٤٨] كثير عزة، ديوان ص٤٩١.

[١٤٩] ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله بن أبي بكر الحنبلي: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، مكتبة دار التراث، القاهرة، ص٣١٨.

www.mtenback.com

لَرَكَضْتُ مِنْ خَيْلِ الشَّبابِ مُعَارَهـــا وَلَكَانَ لِي وَلِمَـــنْ هَوِيـــتُ حَدِيـــثُ

ومما جاء في العفة في الحب ما ورد في « طوق الحمامة»[١٥٠] من قول المؤلف: «حدثني أبو موسى هارون بن موسى الطبيب قال: رأيت شَابًّا حسن الوجه من أهـــل قرطبة قد تعبَّد ورفض الدنيا، وكان له أخ في الله قد سقطت بينهما مؤنة التحفـــظ، فزاره ذات ليلة وعزم على المبيت عنده، فعرضت لصاحب المنزل حاجـــة إلى بعـــض معارفه بالبعد عن منزله، فنهض لها على أن ينصرف مسرعًا، ونزل الشاب في داره مـــع امرأته وكانت غاية في الحسن وتربًا للضيف في الصبا، فأطال رب المنزل المقـــام إلى أن مشى العسس، و لم يمكنه الانصراف إلى منزله، فلما علمت المرأة بفوات الوقـــت وأن زوجها لا يمكنه المجيء تلك الليلة تاقت نفسها إلى ذلك الفتى فبرزت إليه ودعتـــه إلى نفسها، ولا ثالث لهما إلا الله عز وجل فهمَّ بها ثم ثاب إلى عقله، وفكر في الله عـــز وجل فوضع إصبعه على السراج فتفقع ثم قال: يا نفس ذوقي هذا وأين هذا من نـــار جهنم، فهال المرأة ما رأت ثم عاودته فعاودته الشهوة المركبة في الإنســـان فعـــاد إلى الفعلة الأولى، فانبلج الصباح وسبابته قد اصطلمتها النار، أفتظن بلغ هذا من نفسه هذا المبلغ إلا لفرط شهوة قد كلبت عليه؟ أو ترى أن الله تعالى يضيع له هذا المقام كلا إنـــه لأكرم من ذلك وأعلم».

وفي العفة أيضًا عما حرمه الله أورد هذه القصة[١٥١]:

لقد حدثتني امرأة أثق بها أنها علقها فتى مثلها في الحسن وعلقته، وشاع القول عليهما فاجتمعا يومًا خاليين فقال: هلمي نحقق ما يقال فينا. فقالت: لا والله لا كـــان

---

[١٥٠] ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الإلفة والألاف، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسه، تونس، ص٢٨٥.

[١٥١] ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، ص٢٨٦.

www.mtenback.com

هذا أبدًا وأنا أقرأ قول الله: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[١٥٢] قالت: فما مضى قليل حتى اجتمعا في حلال.

وهكذا وجدنا حبَّ الفضيلة، وسموَّ الأخلاق والشيم مانعًا قويًا عما لا يليق رادعًا لمن يتجاوز حدَّ المألوف، فقد حرص القوم على العفة واستغنوا بآدابهم عمّا تعاب فيه أخلاقهم، وقد مجد شعراؤهم العفة ورضوا أن توصف بها نساؤهم ورجالهم، وأن تكون خلقًا كريمًا من أخلاقهم عفوا عن المال والكسب إذا نال من كرامتهم، وعفوا عن المرأة وعفوا عن الكذب وعفوا عن الخيانة، وكل خصلة تنقص من فضائلهم حرموها، ونبذوا من استحل شيئًا منها وأبعدوه، وقسوا عليه.

أثر العفة في التربية[١٥٣]:

إن هذه الفضيلة السامية تهيئ لطالبها السبيل إلى سيادة نفسه وقمع شهواته، وتمهد له وسائل الرقي والعظمة في هذه الحياة، ولا عجب فأكثر الناس عظمة هم أولئك الأفراد الثابتون كالطود أمام أعاصير الحياة تنصب عليهم الآلام وهم باسمون لأنهم قادرون على ضبط أنفسهم فلا تذهب شعاعًا، وعلى قمع شهواتهم فلا تميل مع الهوى، وبعض الناس يحب الرئاسة والوجاهة والمدح والرتب العالية والدافع إلى ذلك حب الظهور وهو خلق ذميم يقوم على الحقد والأنانية، لذا فمن العفة ألا يطلب المرء عملاً ليس كفئًا له، وألا ينافس من هم أقدر منه وأجدر، وألا يسعى ليحل محل الأكفاء، ولا أن يطعن فيهم، ليخلو له الجو فيحل محلهم، ولا بأس إن وجد نفسه أهلاً لعمل ما، وكانت تؤهله لذلك العمل من أن يتقدم له متخذًا الأساليب الشريفة والمنافسة البريئة ليأخذه بجدارة شخصيته وكفاءتها، لأن الرئاسة مركز خطير. إذا سُلِّم

---

[١٥٢] سورة الزخرف: ٦٧.

[١٥٣] محمود علي قراعه: الأخلاق في الإسلام؛ وانظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها؛ محمد ربيع محمد جوهري: أخلاقنا ط١، دار الطباعة المحمدية القاهرة.

www.mtenback.com

لغير أهله أدى إلى مظالم وإساءات لا حصر لها، فليستعفف غير الأكفاء عن المناصب التي لا يصلحون لها، وليطمحوا إلى المراكز العالية عند الله لا عند الناس، وذلك بحب الخير للناس ومساعدتهم.

وقد فطر الله الإنسان على الميل للجنس الآخر حفاظًا على الجنس من الانقراض، وسكونًا للنفس من وحشة الفردية والعزوبية، وجعل الله لهذا الميل الفطري ضوابط لئلا تطغى فتورد صاحبها موارد الهلاك والضوابط تتمثل في: غض النظر، والبعد عن الاختلاط والتكشف وإظهار الزينة منعًا للإثارة وخوف الفتنة قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[١٥٤].

والحض على الزواج والتساهل فى المهور من أهم الأسباب المؤدية إلى العفة لأن الزواج أغض للبصر وأحصن للفرج كما قال رسول الله ﷺ: «من لم يستطع فعليه بالصوم»[١٥٥] والتزام ضوابط الغريزة الجنسية هو العفاف. ومن العفة في الجنس أن يبتعد الإنسان عن موطن الشبهات والسير مع المشبوهين الذين لا أخلاق لهم فإنهم إن لم يجروهم إلى الفساد، يشوهوا سمعتهم نتيجة صلتهم وصداقتهم معهم.

ومن العفة أن يبتعد الشاب عن الفتاة التي تتقرب منه وأن تبتعد الفتاة عن الشاب الذي يتقرب منها وإن جمعت بينهما المناسبات.

ومن عفة الرجل ألا يتجمل أمام المرأة، ويتلطف ليستميلها بل عليه أن يعاملها معاملة عادية مصحوبة بالحياء،والخوف من الله وعليها مثل ذلك.ومن عفة الإنسان عدم النظر والتطلع إلى ما لدى غيره من متع الحياة الدنيا من مختلف الأصناف وفي ذلك

---

[١٥٤] سورة النور:٣١.

[١٥٥] صحيح مسلم، كتاب النكاح، ج٢، ص١٠١٨، الحديث رقم ١٤٠٠.

www.mtenback.com

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[١٥٦].

والخطاب للرسول ﷺ هنا خطاب لكل مؤمن برسالته.

ويفسر الأستاذ «عبد الرحمن حبنكة الميداني»[١٥٧] هذه الآية بقوله: «وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أمر بالعفة ونهي عن مجانبة سبيلها ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا مختلفة من زهرة الحياة الدنيا، فيدخل فيها كل ما تمتد إليه مطامع الناس من مال وسلطان وحدائق وبساتين وخيل مسومة وأنعام وقصور ومساكن طيبة وزوجات حسان وجاه عريض وقوة وجمال وأولاد وذرية».

وإذ أمر الله بالعفة لفت الأنظار إلى أن ما عنده من رزق هو خير وأبقى وهذا من عناصر التربية الحكيمة. ومن فوائد غض البصر أنه يورث القلب نوراً وإشراقًا، كما أن إطلاقه يكسب الناظر ظلمة تظهر في الوجه والجوارح. ومن فوائده أنه يخلص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق بصره دامت حسرته، وأنه يورث صحة الفراسة الصادقة التي يميز بها بين الصادق والكاذب، ويفتح له باب العلم والإيمان والمعرفة بالله وأحكامه. ومن ذلك أن غض البصر يورث القلب ثباتًا وشجاعة، وفي الأثر أن الذي يخالف هواه يفر الشيطان من ظله وغض البصر يخلص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة، وإطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة.

وعفة الأبناء من عفة الآباء والأمهات، فإذا حرص الرجل على الرزق الحلال، وقنع بما قسمه الله له بعد بذل الجهد فقد أعطى المثل العملي لأولاده في العفة.

---

[١٥٦] سورة طه: ١٣١.

[١٥٧] الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها ص ٥٦٣ ج٢.

www.mtenback.com

والمرأة خير معوان للرجل على عفته فإذا أحسنت الإدارة ووزعت الواردات على قدر الحاجات، و لم تكثر الطلبات و لم تحرص على الكماليات عاش كافة أفراد الأسرة أعفاء سعداء، وإذا غض الرجل طرفه عن جاراته و لم يتعرض لذكرهن وحسنهن أعطى لأولاده المثل في العفة والشرف، وإذا احتشمت المرأة أمام الأجانب من الرجال وامتنعت عن الحديث معهم دون مبرر أعطت ابنتها درسًا في العفة.

والقدوة الحسنة خير وسيلة في التربية البناءة فإذا استحيا الوالدان من التصرف المشين أمام الأولاد تعود الأولاد على الحياء. وابتعاد الآباء عن الكلام الفاحش والسب والشتم يفيد الأولاد كذلك، وإذا ابتلي الوالد بمعصية فليخفها ولا يتحدث عنها رحمة بنفسه وأولاده؛ لأن من أكبر الصدمات للأولاد أن يتحطم المثل الأعلى في والدهم أمامهم.

وإذا تصرف أحد الأولاد تصرفًا سيئًا فليحاسبه أحد الوالدين ويبين له المخاطر الناجمة عن ذلك التصرف، ولا يتساهل بأي كلمة نابية يلفظ بها أحدهم لأن حق الأولاد لا يسوغ للوالدين السكوت عن أخطائهم لئلا يصعب تقويمهم في المستقبل. ومراقبة سلوك الأولاد مهمّ جدًا في تربيتهم على العفة ويجدر بالأم أن تسأل ابنتها أو ابنها عن مصدر أي شيء يكون بحوزتهما ولا تتهاون في الأشياء لهوانها فمن يأخذ القليل لا يلبث أن يطال بيده الكثير.

وعليها أن تحذر أولادها قبل الذهاب لزيارة الآخرين إلى ضرورة التعفف عما قد يعطى لهم من طعام وألعاب أو دراهم. والنظر إلى بنات الجيران من النوافذ أو الوقوف في طريقهن ليس من خلق الإسلام، وعلى الوالدين أن يعالجا هذه المواقف بحكمة وتعقل، وما أجمل قول صاحب طوق الحمامة[١٥٨]:

وَهَلْ رَابِحٌ إِلاَّ امْرُؤٌ مُتَوَكِّلٌ قَنُوعٌ غَنِيُّ النَّفْسِ بَادٍ وَقَارُهَا

---

(١٥٨) ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة، ص٢٩٤.

www.mtenback.com

ومن الحياء التأدب بحضرة أصحاب الفضل والوالدين والمعلمين والعلماء والحكام وذلك بعدم رفع الصوت بحضرتهم أو تسفيه رأيهم أو محاولة إظهار تفوقه عليهم أو أن يجلس جلسة استهتار أمامهم ومن الحياء عدم الجرأة على حقوق الناس بالاحتيال والسرقة والرشوة والاغتصاب، والخجل من الإقدام على معصية الله المنعم الخالق الرازق، وأما الحياء من قول الحق ومجابهة الباطل فهو الخجل المذموم ويجدر بالمسلم ألا يحجم عن قول الحق ومناصرة أصحابه ومجابهة الظالمين ولو باللسان.

والخجل من قول الحق أو الانتصار له إنما هو ضعف في شخصية صاحبه وهو خلق مذموم يضع صاحبه في موقف جبان متخاذل يسبب في ضياع الحق وانتصار الظلم لذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين الصادقين الذين لا يرضون السكوت على المظالم والمنكرات ولا يعرف الخجل إليهم سبيلاً.

والعفيف أمام المال هو الذي لا يهدر كرامته في سبيل الحصول عليه ولا يدفعه الجشع أو الطمع إلى اتخاذ الأساليب المنحرفة للحصول على المال، والعفة عن المال من غير مصدره هي الضمان الصحيح لاستقامة المجتمع وسلامة علاقاته وحمايته من البغضاء والتنافس.

وهكذا فالعفة هي حال متوسطة تحول دون الإفراط في الشهوة ودون الجمود الذي هو تفريط فيها وهي أصل لكثير من الفضائل والمحامد.

والحياء من العفة وهو انقباض للنفس يصونها عما يعيبها من قول أو فعل فيدفعها إلى ترك القبيح ويمنعها من التقصير في حق ذي الحق.

والقناعة من العفة وهي الاكتفاء بالقليل من مطالب البدن. والقناعة تختلف من شخص لآخر. بسبب نظرة كل منهما إلى ما يحصل به القناعة.

وقد حض القرآن الكريم على العفة في كثير من الآيات الكريمة، فدعا الشاب إلى الزواج لأن ذلك أدعى للعفة، وإن لم تتيسر له أسبابه فالصوم من أعظم وسائل التعفف لمن لا يجد فرصة للزواج.

www.mtenback.com

والحجاب ستر للمرأة وهو أهم دوافع العفة، وكذلك غض البصر، وقد بلغ الرسول الكريم ﷺ قمة الحياء وأعلى مراتب العفة، فقد روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «كان الرسول ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه»[١٥٩] وحث على ذلك لأن الإنسان إذا فقد حياءه وأمانته أصبح وحشًا كاسرًا.

كما حث على التعفف عن الخوض في الباطل والمراء والجدال والخصام وتربية الأبناء على العفة أمر مهم جدًا، وعفة الأبناء من عفة الآباء والأمهات. وقد نظم الإسلام الحياة الدنيا لتحقيق السعادة للإنسان.

وختام الحديث قول رسول الله ﷺ: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»[١٦٠].

موقع الدكتور مرزوق بن مبارك www.mtenback.com

[١٥٩] أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب: من لم يواجه الناس بالعتاب، الفتح ٥١٣/١٠ ومسلم في كتاب الفضائل باب كثرة حيائه ﷺ ١٨٠٩/٤.

[١٦٠] صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار حديث رقم ٢٧٢١ ص٢٠٨٧.

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ... الآية﴾	٢٧٢-٢٧٣	١٧
	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ... الآية﴾	٢٨١	١٠
النساء	﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ... الآية﴾	٦	١٦
	﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ... الآية﴾	٦	٧
يونس	﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ... الآية﴾	١٠١	٤٨
	﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ... الآية﴾	١٠٧	٢٥
هود	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا.. الآية﴾	٦	٢٥
يوسف	﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ... الآية﴾	٢٣	١٣
	﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى... الآية﴾	٢٤	١٣
النحل	﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً.... الآية﴾	٩٧	٣٩
طه	﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا... الآية﴾	١٣١	٤٨
المومنون	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ... الآية﴾	١-٢	٦
	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى... الآية﴾	٥-٦-٧-٨	٦
النور	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ... الآية﴾	٣٠	٥٠، ٥١
	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ... الآية﴾	٣٠-٣١	١٦، ٤٩
	﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ... الآية﴾	٣١	٥٨
	﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا... الآية﴾	٣٣	٧، ١٤
فاطر	﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ... الآية﴾	٢	٢٥
الزخرف	﴿الأخلاءُ يومئذ بعضُهم لبعضٍ عدو إلا المُتقينَ... الآية﴾	٦٧	٥٧
الطلاق	﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا... الآية﴾	٧	٢٥

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.....»	٧
«أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه.....»	٤٩
«إياكم والجلوس على الطرقات...»	٥٢
« سبعة يظلهم الله في ظله...»	٥٠
«فإنهم ماعلمت أعفّة صبر....»	٧
«كان الرسول صلى الله عليه وسلم أشدّ حياءً من العذراء في خدرها...»	٦٢
«لا تسأل الناس....»	١٨
«ماكان الفحش في شيء قط إلا شانه....»	١٦
«فقال له:» مالك ؟...»	٥١
«من أصبح آمناً في سربه...»	٤١
«من لم يستطع فعليه بالصوم»	٥٨
«من يتقبل لى بواحدة.....»	٣٨
«ولا تسألوا الناس شيئاً....»	١٨
«والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم...»	٢٦
«ومن يستعفف يعفّه الله....»	٧
«يا علي لا تتبع النظرة النظرة...»	١٠
«اليد العليا خير من اليد السفلى...»	٢٧

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ى ـــ		
أغشى	أغشاها	عنترة بن شداد	٣	٥
إنا بنو	وناديها	عمرو بن الأهتم	٢	٨
النفس	ويطغيها	–	٢	٣٠
		ـــ ء ـــ		
إذا ما	خاسئا	–	١	٥٥
قطوف	حياؤها	جميل بن معمر	١	٥٤
		ـــ ب ـــ		
ففض	كلابا	جرير	١	٥٠
لا تسألن	تحجُبُ	–	٢	١٩
من يسأل	يخيبُ	عبيد بن الأبرص	١	٢٥
أعاذلتي	راكبُهْ	أبوتمام	٥	١٨
وإني	قريب	كثير بن عبدالرحمن	١	٥٥
الرزق	مكتوب	ابن عنين	٢	٤١
ومن كان	قلبي	إبراهيم بن صول	٢	٥٢
وقائلٍ	القلبِ	أبو الحسن العقيلي	٢	٤١
اصبر	تقلّبهْ	أبو العتاهية	٤	٤٤
ومتى	فارغبِ	النمر بن تولب	٢	٤٠
إن القنوع	نصَبِ	–	٢	٣٧
شاد	راغبِ	محمود الوراق	٢	١٩

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
ـــ ت ـــ				
لا أرتضي	ذروتِهْ	–	٢	٤٣
ـــ ث ـــ				
عفّ	الإرفاثا	أبو تمام	١	١٥
لولا قديمٌ	حديثُ	–	٢	٥٥
ـــ د ـــ				
إن الكريم	مجهودُ	بشار بن برد	٤	٢١
وإنّ	افتقادُه	ابن نباتة	١	٤٥
ما كلف	تجدُ	–	١	٣٤
ولا تطمعنْ	بعيدُ	أبو الأسود الدؤلي	١	٤٠
ليس جوداً	جوادِ	–	٢	٢٠
من لم	أحدِ	–	١	٤٠
ـــ ر ـــ				
كل	الشررْ	–	٣	٤٩
إن القناعة	فقرا	محمود الوراق	١	٤٦
لم تره	الجارُ	الخنساء	١	٦
وهل رابحٌ	وقارُها	ابن حزم الأندلسي	١	٦٠
كم قد	الحذرُ	إبراهيم بن محمد المهلبي	٣	٥٣
استغنِ	مطرِهْ	–	١	٢٩
لا يضمر	النظرِ	–	١	٥٥
جذبت	المزري	محمد بن حماد	٢	٢٢

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ س ـ		
للناس	أحراسُ	ابن حازم	٢	٢٦
تقنع	تمسي	–	٢	٢٦
تزود	نفسي	–	١	٥٣
		ـ ص ـ		
غني	الحرصِ	محمود الوراق	٢	٤٧
		ـ ع ـ		
لله	ارتفعا	عبدالله بن المبارك	٢	٤٢
اقنع	نفعَه	الأضبط بن قريع	٢	٤٦
إذا المرء	قنوعا	–	٢	٣٧
أبا مالكٍ	أوسعُ	–	٢	٣١
والنفس	تقنعُ	أبوذؤيب الهذلي	١	٣٨
يرى	لا يستطيعُها	–	٢	٣٤
مقيم	لا يرجعُ	الشريف الرضي	٣	٤٤
حتى	متسعُ	أبو العتاهية	٢	٤٤
ومن البلاء	نزوعُ	عبدالله بن المبارك	٢	٤٠
فاقنع	ينفعُ	–	١	٩
		ـ ف ـ		
شفاءُ	العفائفُ	جميل بن معمر	١	٥٤
إني	أحيفُ	أبو فراس الحمداني	٣	١٥
إن أكن	عفيفُ	رجل من بني كلب	١	٥٣

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
غيري	الوافي	أبو فراس الحمداني	٦	٤٥
يقولون	يكفي	الحطيئة	١	٤٦
		ـ ق ـ		
إن القناعة	يؤرقه	العطوي	١	٤٦
قد يعوز	الحمقُ	كعب بن زهير	٢	٣٠
		ـ ك ـ		
متى	مملوكا	–	١	٢٩
إن كان	يغنيكا	أبو العتاهية	١	٣٩
ولقد	تدركُ	–	٢	٣٧
رأيت	ممتسك	الشافعي	٣	٤٧
		ـ ل ـ		
دنياً	حالَها	النقاد	٣	٤٦
عاتبت	نحيلا	–	٤	٥١
لا تسألنّ	يحولُ	–	٤	٢٠
وإني	بلابلْهْ	جميل بن معمر	٣	٥٣
عيوناً	فجهولُ	كثير بن عبدالرحمن	١	٥٥
أبلغْ	مالِ	الخليل بن أحمد	٣	٣٢
حولتِ	جمالي	أبو العتاهية	٤	٤٣
وفتى	خالِ	–	٢	٣١
رُبَّ	مكسالِ	كثير بن عبدالرحمن	٢	٥٥
وكنتُ	الملولِ	–	٢	٣٥

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
فإذا	تجمّلِ	–	١	٣٤
يا طالب	الحيلِ	أبو إسحاق الغربي	٢	٤١
حتى متى	إقبالِ	أبو العتاهية	٤	٤٨
ملكُ	الخولِ	–	١	٤١
لعمرك	رجلي	معن بن أوس	٣	٦
وذقت	السؤالِ	–	١	٢٩
أتدري	الرجالِ	أبو العتاهية	٤	٢١
غنى	المالِ	أبو فراس الحمداني	٢	٢٧
إذا أذن	رِسْلِـــه	–	٢	١٩
لا تحسبن	الرجالِ	–	٢	٢١
		ـــ م ـــ		
أولئك	أكرما	سقران	٢	٢٤
تكلفني	لتكرما	ابن المعذّل	٢	٣١
وقال	وجومُ	كثير بن عبدالرحمن	٢	٥٥
فاقنع	علاّمُها	لبيد	١	٤٣
ما إن دعاني	الكرمُ	(أنشد» المبرد	٢	٥٣
إذا طلبت	التسليمُ	أبو الأسود الدؤلي	٢	٣٤
لستُ	بالمستضامِ	–	٣	٣٨
عفّوا	بمسلم	الشافعي	١	٥٢
قد رُضت	الحكيمِ	أبو سهل بكر بن عبدالعزيز	٤	٤٧
إني	نعمِ	أبو العتاهية	٢	٤٠
إنّ الغنى	الكرمِ	–	١	٢٩
يا شاة	تحرمِ	–	١	٦

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
	ـــ ن ـــ			
إذا القوت	الأمنُ	أبو العتاهية	٢	٣٠
لمـّا افتقرت	أغناني	–	٢	٢٠
قنعت	الهوانِ	–	٥	٣٧
هي القناعة	البدنِ	–	٢	٣٦
سأعمل	الحدثانِ	–	٤	٢٣
لقد	يأتيني	عروة بن أذينة	٣	٣٩
	ـــ هـــ ـــ			
لا تسألن	إليه	عابدة المهلبية	٢	٢٩

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«أخفض الخفض رضا المرء بحظه»	٣٦
«اطلب تظفر»	٣٥
«أنت أخو العزّ ما التحفت القناعة»	٣٥
«إذا شبعت الدقيقة لحست الجليلة»	٣٣
«بيتي يبخل لا أنا»	٣٤
«الجود محبة والبخل مبغضة»	٣٤
«تجوع الحرة ولا تأكل بثديها»	٣٤
«حسبك من غنى شبع وريّ»	٣٤
«رب جزة على شاة سوء»	٣٣
«رب مكثر مستقل لما في يديه»	٣٢
«رضي من التمر بأقله وأردئه»	٣٣
«رضي من العشب بالخوصة»	٣٣
«شر الفقر الخضوع وخير الغنى القناعة»	٣٤
«ظمأ قامح خير من ريّ فاضح»	٣٤
«عشب ولا بعير»	٣٣
«القانع بما قسم الله في حدائق النعيم»	٣٦
«قبل البكاء كان وجهك عابساً»	٣٣
«القناعة مال لا ينفذ، وما عال من اقتصد»	٤٢
«لا دين إلا بمروءة»	٣٥
«لا يفترس الليث الظبي وهو رابض»	٣٥
«لا يكسب الحمد فتى شحيح»	٣٣

www.mtenback.com

المثـــل	الصفحة
«ما بلّ إحدى يديه»	٣٣
«المسألة آخر كسب الرجل»	٣٤
«من العجز نتجت الفاقة»	٣٥
«من لم يقنع بالقليل لم يكتف بالكثير»	٣٦
«اليأس حر والرجاء عبد»	٣٨
«يصبح ظمآن وفي البحر فمه»	٣٣
«يكفيك ما يبلغك المحل»	٣٤
«يشتهي ويجيع»	٣٣
«يمنع دره ودر غيره»	٣٣

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

الأبار، أبو عبد الله محمد:

ديوان، قراءة وتعليق: عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر، تونس.

ابن أبي الدنيا، أبو بكر بن محمد:

القناعة والتعفف، دار ابن حزم.

الأصبهاني، الراغب:

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، هذبه واختصره: إبراهيم زيدان، دار الآثار، بيروت.

الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله:

مختصر العين، حققه: نور حامد الشاذلي، مطبعة عالم الكتب.

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد:

المستطرف في كل فن مستظرف، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

الألباني، محمد ناصر:

صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، ١٩٨٨م، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

مالك بن أنس:

موطأ مالك، دار إحياء التراث العربي، ط ١٩٨٥م.

جميل بثينة:

ديوان، مطبعة عالم الكتب.

بدوي، عبد الرحمن:

الأخلاق النظرية، ج١ ١٩٧٥م، وكالة المطبوعات، الكويت.

www.mtenback.com

البغدادي، جمال الدين بن الفرج عبد الرحمن بن الجوزي:

التبصرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أبو تمام، حبيب بن أوس:

ديوان أبي تمام، شرح وتحقيق: د. شاهين عطية، دار صعب، بيروت، لبنان.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل:

اللطائف والظرائف، دار المناهل للطباعة والتوزيع والنشر.

الجار الله، عبد الله جار الله بن إبراهيم:

بهجة الناظرين فيما يصلح الدنيا والدين، مكتبة الصفحات الذهبية، الرياض.

جاد المولى، أحمد، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم:

قصص العرب، دار الجيل، بيروت.

جرير بن عطية بن الخطفي:

ديوان، تحقيق: نعمان أمين، ط دار المعارف بمصر.

جوهري، محمد ربيع محمد:

أخلاقنا، دار الطباعة المحمدية، القاهرة.

ابن حزم الأندلسي:

طوق الحمامة، قدم له وحققه: إحسان عباس، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسه، تونس.

الحطيئة، جرول بن أوس:

ديوان، دار صادر، بيروت.

www.mtenback.com

الحنبلي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي:

الآداب الشرعية والمنح المرجية، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

الخنساء، تماضر بنت عمرو:

ديوان، شرح وتحقيق: عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت.

الذبياني، النابغة:

ديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.

الرازي، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب:

تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط٢، منشورات مكتبة الحياة، بيروت.

عمر بن أبي ربيعة:

ديوان، دار المعارف، مصر.

زهير بن أبي سلمى:

ديوان، دار المعارف، مصر.

سالم، عبد العزيز:

تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١م.

الشافعي، عبد الله محمد بن إدريس:

ديوان، جمعه وعلق عليه: محمد عفيف الزعبي، مكتبة المعرفة، حمص، سوريا، ط٣، ١٣٩٢هـ/١٩٧٤م.

الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد:

ديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

www.mtenback.com

صفوت، أحمد زكي:

جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، مطبعة مصطفى البـــابي الحلبي، مصر.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك:

الغيث المنسجم في شرح لامية العجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

عنترة بن شداد العبسي:

ديوان، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي.

عبد الله، عبد القادر محمود:

دراسات تاريخ الجزيرة العربية، مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض.

ابن عبد ربه الأندلسي، شهاب الدين أحمد:

العقد الفريد، منشورات مكتبة الهلال، ج٢.

عبيد بن الأبرص السعدي الأسدي:

ديوان عبيد بن الأبرص، دار بـــيروت للطباعـــة والنشـــر، بـــيروت، ١٤٠٤هـــ/١٩٨٣م.

أبو العتاهية، أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم:

ديوان أبي العتاهية، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٤هـــ.

عباد، الصاحب بن عباد:

ديوان، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة بغداد.

عبد الله، عبد العزيز:

الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، دار الغرب الاسلامي، بيروت.

الفارسي، أبو القاسم زيد بن علي:

شرح كتاب الحماسة، دراسة وتحقيق: محمد عثمان علي، دار الأوزاعي.

www.mtenback.com

أبو فراس الحمداني، الحارث بن سعيد:

ديوان، دار صادر، بيروت.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم:

عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

قراعة، محمود علي:

الأخلاق في الإسلام، مكتبة مصر بالفجالة.

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري:

بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق:محمد مرسي الخولي.

القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب:

جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار القلم، دمشق.

كثير، عزة:

ديوان، مطبعة عالم الكتب.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري:

أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، بيروت.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد:

الكامل، مؤسسة المعارف، بيروت.

ابن منظور:

لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري:

مجمع الأمثال، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

www.mtenback.com

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة:

الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، بيروت، لبنان.

ابن ماجة، الحافظ، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني:

ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري:

صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

نباتة، الشيخ جمال الدين بن نباتة:

ديوان، دار إحياء التراث العربي.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب:

نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة.

الهاشمي، السيد أحمد:

جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com